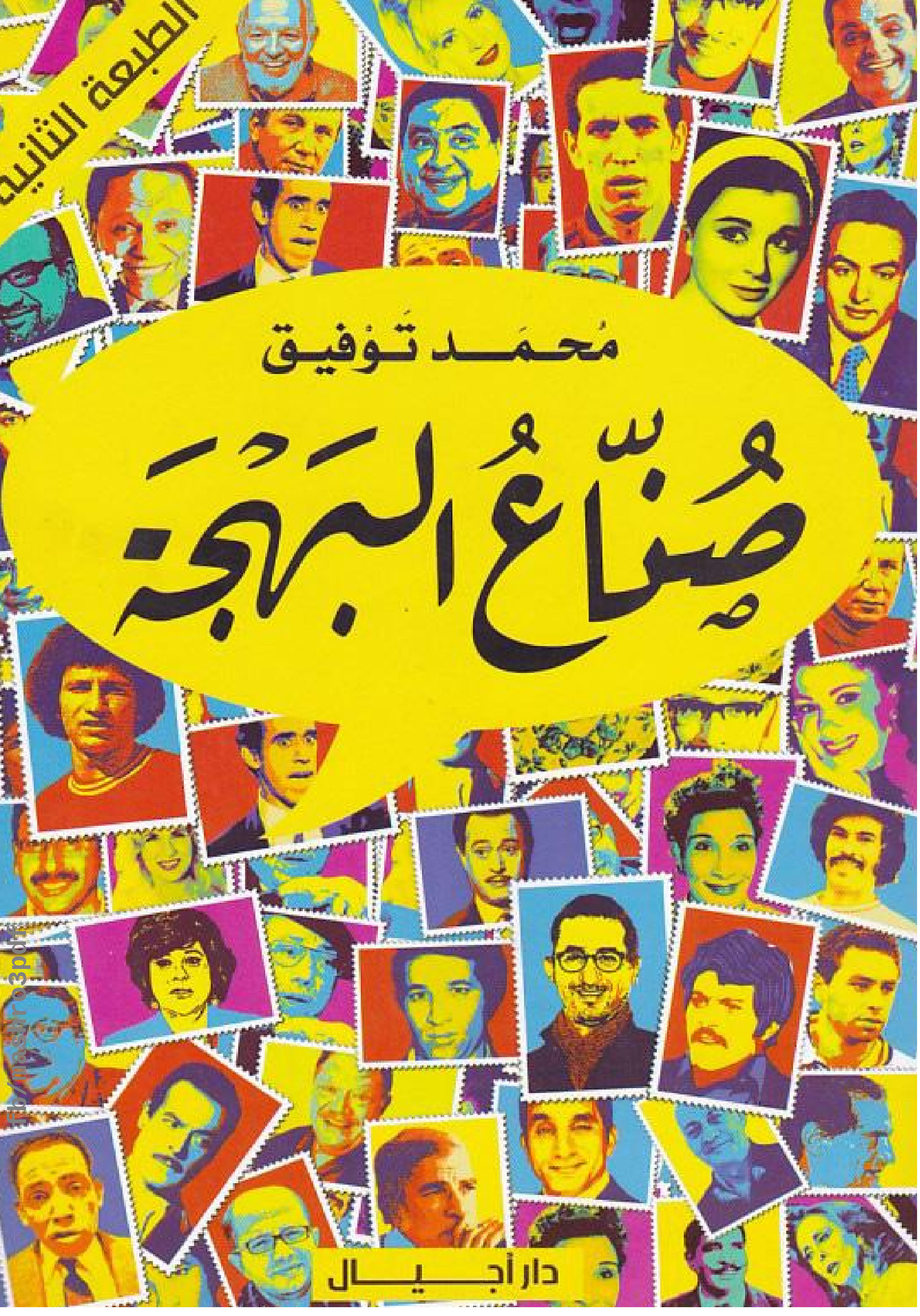
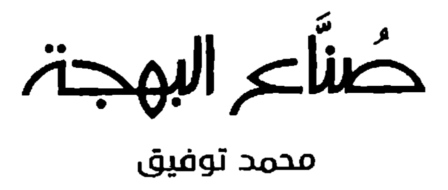

الطبعة الثانية
مُحمَد تَوْفيق
صُنّاعُ البَهْجَة
دار أجيال

صُنَّاع البهجة


صُنَّاع البهجة
محمد توفيق



إخراج داخلى : Media Power

تصميم غلاف : عبدالرحمن الصواف

مراجعة لغوية : محمد عبدالله

رقم الإيداع 2016 / 21530

ISBN 978 - 977 - 773 - 019 - 8



الطبعة الأولى 2016

دار أجيال للنشر والتوزيع

هاتف (+2) 01224242437

الفهرس

الفصل الأول

حماتك.. ماري منيب..17

الممتلئ بالموهبة.. عبد الفتاح القصري........................20

خالتك.. زينات صدقي.......................................23

كامل..كمال..الكامل..عبدالمنعم إبراهيم........................27

إثارة البهجة.. هند رستم.....................................31

سُمعة.. إسماعيل ياسين......................................34

السادس عشر.. عبد السلام النابلسي...........................38

الضيف.. الضيف أحمد.......................................42

الفصل الثاني

أمير البهجة.. محمد فوزي.....................................47

جارة القمر.. فيروز..51

قِبلة العاشقين.. نزار قباني....................................54

الضوء المسموع.. نجاة..58

جبل الحب.. كامل الشناوي....................................61

صباح السعادة.. صباح..65

الوَنَس.. ماجدة الرومي..67

الفصل الثالث

الأستاذ.. فؤاد المهندس..73

الحريف.. عادل إمام....................76
المحظوظ.. محمد عوض....................79
الكيميائي.. يحيى الفخراني....................82
سعاد.. سعاد حسني....................85
الحالم.. محمد خان....................88
الصارم.. محمد صبحي....................91
سعيد أحيانًا!.. سعيد صالح....................95
الهلّاس.. سمير غانم....................98

الفصل الرابع
الاستثنائي.. صلاح جاهين....................105
الصوفي.. حجازي....................109
اللاعب بالفرشاة.. عمرو سليم....................113
الفضائي.. عمر طاهر....................117
الـ«باسم».. باسم يوسف....................121
أبو حفيظة.. أكرم حسني....................124

الفصل الخامس
الظاهرة.. محمد هنيدي....................129
الخفيف.. علاء ولي الدين....................133
المغرور.. محمد سعد....................137

كشاف المواهب.. أشرف عبد الباقي........................141
المجرِّب.. أحمد حلمي........................145
نجم بلا شباك.. ماجد الكدواني........................148
النحّات.. بيومي فؤاد........................151

الفصل السادس

بيبو.. محمود الخطيب........................157
المعلم.. حسن شحاتة........................161
المراوغ.. أبو تريكة........................164
المضيء.. حازم إمام........................168
ماسح الأحذية.. بيليه........................171
ابن الجنايني.. رونالدو........................174
ثلاثي أضواء الملعب.. (شيكا وحفني وفتحي)........................178

الفصل السابع

جحا القرن.. جليل البنداري........................183
المسحراتي.. فؤاد حداد........................187
عمك محمود.. محمود السعدني........................190
الصارخ.. محمد عفيفي........................194
العقربي.. أحمد رجب........................198
دايمًا عامر.. جلال عامر........................202

إهداء..

إلى كل مبدع رسم البسمة على شفاه محبيه.. رُوح يا شيخ ربنا يسعدك!

ابحث عمَّن تحب!

أُحب جبروت أم كلثوم، ووسوسة عبد الوهاب، ومكر عبد الحليم، وصوت فيروز، وموسيقى محمد فوزي، ونبوغ سيد درويش، وعذوبة نجاة، وعود سيد مكاوي، وبيانو عمر خيرت، وجمهور كاظم، وصنعة عمار الشريعي، ودار وديع الصافي، وعصا سليم سحاب، وإحساس محرم فؤاد، وبهجة صباح، ووطن لطفي بوشناق، وسلطان فايزة، وشباب عمرو دياب، وتحليق منير، وحنجرة الحجار، ونغم أنغام، ووردة بليغ.

وأُحب رقة فاتن حمامة، ووسامة عمر الشريف، وغموض ليلى فوزي، وجاذبية رشدي أباظة، ونظرة عين المليجي، وأسبقية الريحاني، وتمثيل زكي رستم، وكوميديا توفيق الدقن، وشر استيفان روستي، ودلال شادية، وفوازير

نيللي وشريهان، وحب سناء جميل ولويس جريس، ورشاقة منير مراد، وسيرة إسماعيل ياسين، وسغاد حسني كلها على بعضها!

وأُحب سجية زينات صدقي، وسذاجة محمد رضا، وثقة عادل أدهم، وتناكة عبد السلام النابلسي، وجدعنة تحية كاريوكا، وسينما عاطف الطيب، وكاريزما يوسف شاهين، وواقعية صلاح أبو سيف، و«لوكيشن» محمد خان، ورسائل داوود عبد السيد، وإخراج شريف عرفة، ودراما أنور عكاشة، وسيناريو وحيد حامد، وشويكار المهندس، وشجن فريد الأطرش، وضحكة هند رستم، وفصاحة عبد الفتاح القصري!

وأُحب تدين الإمام محمد عبده، وألَق الشيخ رفعت، ووهج الشيخ عبد الباسط، وتبسيط الشعراوي، وتلخيص رفاعة الطهطاوي، وتفرُّد علي عبد الرازق، وتحدي أبو القاسم الشابّي، وكتب خالد محمد خالد، والمشهد الأخير في حياة الشيخ الغزالي.

وأُحب صحافة مصطفى وعلي أمين، وأستاذية هيكل، ومدرسة إبراهيم عيسى، وثقافة علاء الديب، وعناد فاطمة اليوسف، ورقيّ محمد التابعي، وعمق أمين العالم، وجبل فتحي غانم، وجرأة لويس عوض، ونضال صلاح حافظ، واقتصاد جلال أمين، وقلم حمدي قنديل، وصياغة محمود عوض، وقراء عبد

الوهاب مطاوع، وأعمدة سلامة أحمد سلامة، ومقالات سناء البيسي، ومهنية مجدي مهنّا، ولغة رجاء النقاش، وبراعة صالح مرسي، وشطحات مصطفى محمود!

وأُحب ذكاء عادل إمام، وإتقان أحمد زكي، وجمال ميرفت أمين، و«بهجة» محمود عبد العزيز، ووعي نور الشريف، وأناقة ليلى علوي، ونضج يحيى الفخراني، ومسرح محمد صبحي، وطيبة سعيد صالح، وهلس سمير غانم، وخجل إيمي سمير غانم، وجدية خالد صالح، وأداء خالد الصاوي، وشقاوة غادة عادل، وتجارب أحمد حلمي، واجتهاد أحمد السقا، وخفة دم الضيف أحمد، وإفيهات نجاح الموجي، وقوة تحمل جورج سيدهم، وذكريات إسعاد يونس، وأفكار الثلاثي سمير وشهير وبهير، وإخلاص أشرف عبد الباقي، وصبر بيومي فؤاد، وبراءة نيللي كريم.

وأُحب تعقيد العقاد، وتعليم طه حسين، وقلق توفيق الحكيم، وحكمة نجيب محفوظ، ونرجسية يوسف إدريس، وخيال يوسف السباعي، وخفة ظل كامل الشناوي، وفهم إحسان عبد القدوس، ومكتبة أنيس منصور، وصراحة محمود السعدني، وصرامة سامي السلاموني، وسلاسة محمد عفيفي، وسخرية جلال عامر، وتكثيف أحمد رجب، ونَظَر محيي اللباد، وتصوف أحمد بهجت،

وسماحة بهاء طاهر، وسمو صلاح عبد الصبور، وحكايات خيري شلبي، وزعامة عبد الله النديم، ولسان جليل البنداري!

وأُحب رحلات محمد المخزنجي، وخطوط بهجوري، وريشة مصطفى حسين، ورسومات حجازي، وكاريكاتير عمرو سليم، وحوارات وجدي الحكيم، وإعلام طارق حبيب، وموسوعية عبد الوهاب المسيري، وذات صنع الله إبراهيم، وإسكندرية إبراهيم عبد المجيد، وموهبة بلال فضل، وتفاصيل عمر طاهر، ونقد طارق الشناوي، ودأب محمود قاسم، ومستحيل نبيل فاروق، ويوتوبيا أحمد خالد توفيق، ونُبل المنسي قنديل، ومقدمات يسري فودة، ونجاح أحمد مراد وعمرو سلامة، وعائلة دياب، وحضور أكرم حسني، وعالمية باسم يوسف.

وأُحب كفاح بيرم التونسي، وإنسانية فؤاد حداد، ومواهب صلاح جاهين، وبساطة الأبنودي، وصدق أحمد مطر، وسجع سيد حجاب، وشعر محمود درويش، ونبوءة أمل دنقل، وصداقة نجم والشيخ إمام، وكلمات مأمون الشناوي، وشاعرية نزار قباني.

وأُحب كشكول الجمسي، وفكر الشاذلي، وفدائية إبراهيم الرفاعي ومقاومة حافظ سلامة، ونبل سوزان طه حسين، ومبادئ مانديلا، وزهد غاندي، ودقة

مجدي يعقوب، وعلم زويل، وعبقرية بيل جيتس، وتراث قاسم أمين، ورؤية الكواكبي، وعزلة جمال حمدان، وغربة إيليا أبو ماضي، ويوميات الجبرتي، وتاريخ ابن إياس، وشجاعة جارودي، ومقامرة دوستوفيسكي، وسرد هوجو، وتحقيقات بوب وود وارد، وتعبيرات أمين معلوف، ومذكرات شارلي شابلن، وترجمة أنيس عبيد، وطلة كاميرون دياز.

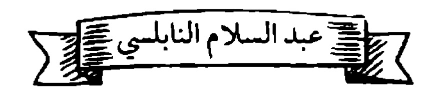
وأُحب شموخ صالح سليم، ودعوات حسن شحاتة، ودهاء أبو تريكة، وتواضع حازم إمام، وحرفنة محمد بركات، ومهارة شيكابالا، ونجومية محمود الخطيب، وتدريب محمود الجوهري، وحماس حسام حسن، وطموح صلاح والنني، وتحليل ميدو، وتعليق ميمي الشربيني، وعفوية محمود بكر، ومهارة ميسي، وسرعة كرستيانو، وعقل زين الدين زيدان، ومراوغات مارادونا، وأهداف بيليه، وغرور مورينهو، وخطط جوارديولا، وقيادة جوزيه للأهلي، وهدف مجدي عبد الغني في كأس العالم.

وأخيرًا عزيزي القارئ، أتمنى أن تجد مَن تحب فيمن أُحب.



الفصل الأول

لقد خُلقنا كي نضحك.



حماتك!

بدأتْ حياتها الفنية في عشرينيات القرن الماضي كراقصة في الملاهي الليلية تحمل فوق رأسها إناءً من الفُخار يُسمى «القُلة» بديلاً عن «الشمعدان» الذي كانت تحمله الراقصات آنذاك، وبعد أن برعت في الرقص انضمت إلى إحدى الفرق الغنائية.

بعدها اتجهت إلى المسرح، وتنقلت بين عدة فرق مسرحية من بينها فرقة «يوسف وهبي» التي حصرتها في الأدوار التراجيدية، فتركتها ورحلت، وذهبت إلى فرقة الريحاني المسرحية، واستقر بها المقام هناك، ومنها عرفت طريق الشهرة.

هكذا بدأت «ماري منيب» صانعة فن البهجة الشريرة، والشر المُبهج، وأشهر حماة في تاريخ السينما طريقها نحو النجومية.

فقد وُلدت «ماري سليم حبيب نصر الله» في الشام عام 1905 ورحلت إلى مصر بعد رحيل والدها واستقرت في حي شبرا بصحبة والدتها.

وبعد عدة سنوات من استقرارها في القاهرة استقلت القطار المتجه إلى الشام، وفي أثناء جلوسها في واحدة من عربات القطار وقعت عيناها على شاب وسيم تبادل معها نظرات الإعجاب، كأن سهم الحب من النظرة الأولى قد استقر في قلبها، واقترب الشاب منها وتحدث إليها، ولم يمضِ على حديثهما سوى دقائق معدودات حتى اتفقا على الزواج!

استأذنت «ماري» من والدتها لتذهب إلى دورة المياه وطال غيابها، وحين عادت أخبرت أمها أنها قد تزوجت من الشاب الذي يجلس في المقعد المواجه لهما، ويُدعى «فوزي منيب»!

فغضبت أمها وانفعلت عليها وثارت عليه وطلبت منه أن يطلق ابنتها؛ لكنهما رفضا واستمر الزواج، وذهبا معًا إلى بيروت، وعملا هناك، ونجحا وحصدا أموالًا وفيرة وأنجبا طفلين «فؤاد» و«بديع».

لكن بعد أن امتلك الشاب الوسيم المال تركها وذهب ليتزوج بفتاة أخرى تعمل معها في الفرقة المسرحية لكن «ماري» ظلت تحمل اسمه بعد أن عرفها الجمهور بـ«ماري منيب».

في هذا التوقيت فارقت شقيقتها الحياة فقررت «ماري» أن تربي أبناء أختها



مع ابنيها، وعرض عليها زوج أختها الزواج فوافقت لتبقى بجوار الأطفال الصغار.

وفي منتصف الثلاثينيات، بدأت مسيرتها مع السينما، واتخذت لنفسها مساحة تغرد بها بمفردها، وصاغت «إفيهات» ارتبطت بها وحدها، حتى إنها سخرت من نفسها حين قالت: «ما دام الشابة مننا محافظة على نفسها مايهمهاش كلام الناس» و«أنا حماتك مدوباهم اثنين».

فقد أبدعت في دور «الحماة» لدرجة أنه لا يمكن أن تُقال هذه الكلمة دون أن يُذكر اسمها، وإفيهاتها، فقد أسبغت شخصيتها على تلك الشخصية، حتى إن البعض قد خلط بين حقيقتها وتمثيلها!

جعلت «ماري منيب» من «الحماة» واجهة الأفلام، ووصل عدد أفلامها إلى ما يقرب من 200 فيلم من بينها «الحموات الفاتنات»، و«حماتي ملاك»، و«حماتي قنبلة ذرية»، و«لعبة الست»، و«حكاية جواز»، و«لصوص لكن ظرفاء».

وحين بلغت عامها الرابع بعد الستين وفي أثناء اشتراكها في مسرحية «إبليس» شعرت بالإعياء الشديد، وانتقلت إلى المستشفى، وظلت عدة أشهر تصارع المرض حتى فارقت الحياة تاركة خلفها رصيدًا هائلًا من الأعمال الفنية المبهجة، وعددًا ضخمًا من الإفيهات التي تتذكرها كلما رأيت «حماتك»!

الممتلئ بالموهبة

«قامته القصيرة، وكرشه الضخم، وشعره الأملس، وعيناه المصابة بالحول، وتلعثمه في الكلام، وملابسه الغريبة».

هكذا صنع «عبد الفتاح القصري» صورته أمام الناس، ولعبت سماته الشكلية دور البطولة في تصدير تلك الصورة المغايرة لحقيقته، بل جعلت الجميع يظن أن هذا الممثل لم يمثل قط، وإنما ينطلق على سجيته، لكن المدهش أنه ظل طوال حياته الفنية يلعب أدوارًا تناقض حقيقة شخصيته.

فلم يكن «القصري» رجلًا جاهلًا يسير في خيلاء وعُجب، بل كان مثقفًا متواضعًا يسير في سكينة وهدوء، فقد تخرج في مدرسة «الفرير» وكان يتحدث الفرنسية بطلاقة، وقد كان طفلًا مرفّهًا، يعيش حياة مترفة في بيت



والده الجواهرجي، وكان بإمكانه أن يعيش مُنعّمًا طوال حياته، لكنه ترك طريق الذهب، وذهب إلى الأشواك بقدميه، وسلك الطريق الوعر إلى نهايته، ربما لإيمانه أن المتعة في الرحلة ذاتها مهما بلغت قسوتها، وليست في الوصول مهما كان نعيمه.

اختار «القصري» أن يهجر بيت أبيه، ويبحث عن حلمه الفني، والتحق بفرقة عبد الرحمن رشدي ثم فرقة الريحاني، ثم استقر مقامه ووجد نفسه في فرقة إسماعيل ياسين التي نجح فيها ولمع وتألق وشارك في ما يزيد على الستين فيلمًا طوال حياته الفنية، بدأها عام 1935 بفيلم «المعلم بحبح» ثم تلاها بفيلم «مبروك» و«لو كنت غني» و«من فات قديمه» وبعدها بفترة شارك في «ابن حميدو» و«سكر هانم».

واستمر «القصري» في رحلة عطائه السخي، وأبدع في دور المعلم، مدّعي الثقافة، خفيف الظل، وعاش حياة متقلبة بين قمة النجومية، ومنحدر الفقر الشديد بعد أن داهمه المرض على خشبة المسرح حين كان يقف أمام صديقه إسماعيل ياسين، وفجأة صرخ قائلًا: «أنا مش شايف حاجة.. أنا عميت.. أنا عميت»!

وبكى القصري متأثرًا، وانفجر الجمهور ضاحكًا ظنًّا منهم أنه يقول «إفيه» خارج النص كعادته!

لكنّ صرخة القصري على المسرح كانت حقيقة أدركها إسماعيل ياسين، فسحبه إلى الكواليس، وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي يقف فيها على المسرح، فبعد أن فقد بصره طلبت زوجته الشابة الطلاق بعدما جعلته يوقّع على بيع كل ممتلكاته لها، وتزوجت من صبي كان يعطف عليه القصري ويعتبره الابن الذي لم ينجبه!

فأصاب «القصري» الكبَر، وحل عليه الاكتئاب، وأحاط به المرض، وظل في منزله لا يغادره حتى جاءت الحكومة لتكمل على ما تبقى له، وهدمت له البيت الذي كان يسكن فيه بدعوى الضرائب المتأخرة، ليذهب القصري إلى العيش في «مساكن مظلوم» في حي الشرابية، ولم يعد أحد من رفاق الدرب يسأل عنه، فعاش وحيدًا شريدًا لا تطمئن عليه سوى شقيقته التي اضطرت، إلى بيع الشاي والسكر لتنفق على أخيها! فتصلبت شرايين مخه، وفقد الذاكرة، ودخل مستشفى «المبرة» حتى يوم رحيله، ولم يحضر جنازته سوى أربعة أفراد!

لكن رغم كل ما جرى لهذا الرجل، أظن أنه لو عادت به الحياة لكرر ما فعل؛ لأنه لولا مغامراته الكبرى لما عرفناه، ولما ظللنا نذكره بعد أكثر من نصف قرن على رحيله، ولما ظللنا نردد معه «يا صفايح الزبدة السايحة» و«نورماندى تو» و«خلاص هتنزل المرة دي»!



خالتك

كانت نجمةً ملء السمع والبصر، لها مئات الأعمال الفنية بين السينما والمسرح والتليفزيون، وتعد واحدة من أكثر الفنانات حضورًا في تاريخ السينما من حيث عدد الأفلام التي شاركت فيها، فلم تكن تعرف وقت الفراغ، وأغلب سنوات عمرها قضتها داخل الاستديوهات، وأمام الكاميرات.

ولكن حين مرضت انزوت عنها الأضواء، ولم يعد يسأل عنها أحد، وتجاهلها منتجو السينما، ومخرجو التليفزيون، ورفاق العمر من الفنانين، وتدهورت أحوالها المادية، ودخلت دائرة النسيان، لدرجة أنها لجأت إلى القضاء تشكو مُخرجًا استبعدها في آخر لحظة من تسجيل دورها في أوبريت لزكريا أحمد، بعد تلك الواقعة قررت أن تعيش على هامش الأضواء والنجومية، فباعت أثاث منزلها كي تشتري طعامًا!

وفجأة سأل عنها الرئيس السادات، وتعجب من عدم إدراج اسمها بين الفنانين المقرر تكريمهم في العيد الأول للفن عام 1976، ولم يجد منظمو الحفل ما يبررون به هذا السهو غير المقصود في حق فنانة كبيرة أسعدت الملايين.

ودعاها الرئيس السادات لتكريمها، فلم تجد في دولاب ملابسها فستانًا مناسبًا، لكنها حضرت الحفل بعد تدبير جيب وبلوزة، ومنحها شيكًا بألف جنيه، ومعاشًا استثنائيًا مدى الحياة، ورقم هاتفه الخاص للاتصال به إذا كانت في حاجة إلى مساعدة.

لكنها لم تتصل، كان يكفيها أن تشعر بالتقدير، وأن سنوات عمرها الفني لم تذهب أدراج الرياح، وأن الملايين الذين تسببت في إسعادهم لم ينسوها، فعادت إلى منزلها الذي يقع في شارع جانبي متفرع من «عماد الدين» بوسط القاهرة، وقلبها يرقص من الفرحة والسعادة؛ لأنها سوف تسدد ما تراكم عليها من ديون وتعيش بقية أيامها مستورة.

وتذكّرها المخرجون والمنتجون ورشحوها لأعمال سينمائية، لكنها رفضت بكبرياء تسوُّل العمل، وبعد شهور من تكريمها تدهورت حالتها الصحية، وظلت تصارع المرض، ونصحها البعض بالاتصال بهاتف الرئيس لعلاجها على نفقة الدولة، لكنها أبت بعناد حتى لفظت أنفاسها الأخيرة.

إنها خالتك «زينات صدقي» التي تألمت في سنوات حياتها الأخيرة بقدر ما أسعدت الناس طوال عمرها الفني.

فقد وُلدت «زينات» في 4 مايو عام 1913 في حي الجمارك في محافظة الإسكندرية ودرست في «معهد أنصار التمثيل والخيالة» الذي أسسه الفنان زكي طليمات في الإسكندرية؛ لكن والدها منعها من إكمال دراستها وقام بتزويجها دون إرادتها، ولم يستمر الزواج سوى عام واحد فقط.

«زينات» بدأت حياتها الفنية مغنية في بعض الفرق الفنية، إلى أن شاهدها الفنان نجيب الريحاني، وعرض عليها دورًا في مسرحية له، وأطلق عليها اسم زينات، حيث تسمت باسم صديقتها المقربة «خيرية صدقي» حين أخذت منها اسم صدقي.

وقبل أن تكمل عامها الرابع والعشرين وتحديدًا عام 1937، شاركت في أول فيلم سينمائي بصحبة تحية كاريوكا وعبد السلام النابلسي، وكان اسم الفيلم «وراء الستار» بطولة رجاء عبده وعبد الغني السيد.

وعقب هذا الفيلم انطلقت «زينات» في رحلة طويلة استمرت لمدة 38 عامًا، عملت خلالها مع معظم كبار النجوم، ففي عام 1949 شاركت في فيلم «غزل البنات» مع نجيب الريحاني وليلى مراد وأنور وجدي، لكنها لمعت



وتألقت في الخمسينيات والستينيات بصحبة إسماعيل ياسين وعبد الفتاح القصري، وصارت علامة من علامات خفة الظل؛ لكن المرض أبعدها عن الأضواء في السبعينيات ولم تقدم سوى عمل واحد فقط عام 1975 هو فيلم «بنت اسمها محمود».

لكن بين عامي 37 و75 شاركت «زينات» في ما يقرب من 400 فيلم مع عدد هائل من نجوم الفن، واستطاعت أن تصنع لها مكانًا مميزًا، ومكانة خاصة، وأن تثبت أن البطولة ليست بترتيب الأسماء على الأفيش لكن البطولة الحقيقية أن ترتسم البسمة على وجوه الجمهور حين يتذكر اسمك، فهناك عدد هائل من الفنانين الذين كانوا يتصدرون الأفيشات لم نعد نذكرهم أو نتذكرهم بل ذهبت أفلامهم معهم، فالعبرة ليست بمن سبق!



كامل.. كمال.. الكامل!

شعرت زوجة عبد المنعم إبراهيم ببعض التعب فاصطحبها إلى الطبيب، وبعد أن فحصها وتبين أسباب الألم.. طلب من عبد المنعم أن يتماسك ويتمالك أعصابه ثم قال له: «زوجتك لن تعيش أكثر من ستة أشهر».

فسقطت الدموع من عيني «عبد المنعم» وكاد يسقط على الأرض؛ فأصغر أولاده لم يبلغ العام، ورغم ذلك كان مطلوبًا منه في ذات الليلة أن يقف على خشبة المسرح، ويؤدي دوره في مسرحية كوميدية، ويُضحك الجمهور، ولا سبيل أمامه للاعتذار، وبالفعل ذهب، والتزم وأضحكهم، وأعماقه تذرف الدموع حزنًا على زوجته.

هكذا عاش الفنان عبد المنعم إبراهيم، فقد وُلد في بني سويف وعاش طفولته في قرية «ميت بدر حلاوة» التابعة لمحافظة الغربية وبدأ التمثيل وعمره

تسع سنوات بمدرسة عابدين الابتدائية، وفي أثناء دراسته أحب العزف على البيانو، وتمنى أن يمتلك واحدًا؛ لكن والده لم يكن يملك ثمن البيانو، فعوضه عن ذلك واصطحبه إلى المسرح ليشاهد عروض علي الكسار، ليتعلق بأجواء المسرح.

لكنه حين أراد احتراف التمثيل ذهب إلى معهد التمثيل بصحبة زميله «عبد المنعم مدبولي» ليدخلا الاختبارات مع 1500 شخص، وكانت اللجنة تضم جبابرة الفن حينها من بينهم: «نجيب الريحاني» و«زكي طليمات» و«جورج أبيض» وغيرهم من كبار النجوم.

ونجح عبد المنعم في الاختبار الأول، وقبل موعد الاختبار الثاني رحلت والدته وحزن بشدة، لكنه كان مضطرًّا إلى أن يذهب لاختبار معهد التمثيل ويؤدي دورًا كوميديًّا، وأدى الدور ببراعة، ونجح مع 19 شخصًا فقط كان من بينهم مدبولي وفاتن حمامة وسميحة أيوب، وتعرف خلال سنوات المعهد على فريد شوقي وشكري سرحان.

وتخرج «عبد المنعم» وكان من بين أوائل دفعته، فضمه «زكي طليمات» إلى فرقة «المسرح المصري» التي كوّنها من خريجي المعهد، ووضع له راتبًا مناسبًا، وأدوارًا جيدة لمع فيها؛ لكن بعد أن ترك «طليمات» الفرقة، استقال منها «عبد

المنعم إبراهيم»، ومر بعثرات كثيرة، وتغلب عليها، فقد رحل أخوه في سن صغيرة، وترك له مسؤولية الإنفاق على أبنائه، لكنه تماسك وأبدع وشارك في عدد هائل من الأعمال الفنية في المسرح والسينما والتليفزيون.

والمدهش أنه حين سُئل: ألا ترى أن بعض أفلامك دون المستوى؟

فأجاب: نعم، أعترف بأنني اضطررت لعمل بعض الأدوار التافهة؛ لأن المسرح القومي أجره ضعيف، وليس أمامي خيار آخر، لكن بعد أن كبرت صرت أرفض أي دور لا يليق بي.

شارك «عبد المنعم» في قرابة 500 عمل فني، منذ بدأ حياته الفنية في «فرقة الهواة» التي كوّنها زميل دراسته «مدبولي»، وتنقّل «إبراهيم» بين عدد من الفرق المسرحية، وقدم عددًا كبيرًا من الأدوار المهمة، والمضحكة؛ لكنها كوميديا أخلاقية - كما يحلو له وصفها - أو أكاديمية كما كان يطلق عليها النقاد، لذا كان يبدع سواء أكان بطلًا أو سنّيدًا، فحين شارك في فيلم «الزواج على الطريقة الحديثة» مع سعاد حسني وحسن يوسف، ولعب دور «كامل كمال الكامل» كان دوره مميزًا، تمامًا مثل دوره في فيلم «طاقية الإخفاء» وكذلك دوره الأشهر في فيلم «سكر هانم» الذي نال عنه الميدالية الذهبية وجائزة الدولة التقديرية.

لكن كلمة النهاية جاءت في عام 1984 حين كان ذاهبًا إلى المسرح لعمل



البروفات النهائية لمسرحية «خمس نجوم» فأصابته أزمة قلبية ليرحل، وهو في الثانية والستين من العمر أوخرجت جنازته من المسرح القومي بناءً على وصيته التي أبلغها إلى زميلة دراسته الفنانة «سميحة أيوب» مديرة المسرح حينذاك، كأنه أراد أن يقول من نعشه إنه يفخر بفنه، وإن الفن رسالة تستحق أن ينظر الجميع إليها باحترام.

ربما لذلك قال عنه العم محمود السعدني: «لو ظهر عبد المنعم إبراهيم في إنجلترا لشق طريقه إلى القمة بسهولة، لذلك سيظل أكثر المضحكين احترامًا وأعظمهم مكانةً لدى المثقفين وخصوصًا الذين تثقفوا في الغرب، وسيضحك من الأعماق لفنه هؤلاء الذين يضحكون لأوسكار وايلد ومارك توين».



إثارة البهجة

تملك قوامًا لا يقاوَم، وضحكة تُذهب العقل، ونظرة تسكن القلب، وطلّة تمنح الدفء، وجاذبة بصورة تجعلها تنافس الجاذبية الأرضية، كأنها خُلقت كمنيكان غادر الفاترينة ليتجول بين الناس.

إنها «هند رستم» الملكة التي تأسر دون حرب، وتقتل دون دم، وتنتصر حين تقرر، وتنهزم وقتما تريد، وتختال في مشيتها كأنها تسير على أطراف أصابعها، وتبكي في تعالٍ، وتغترّ لكن لا تملك كراهيتها، وتصوِّب سهامها ولا تخطئ الهدف أبدًا، ذكاؤها تلمحه في عينيها، فقد لا تكون الأجمل لكنها الأكثر فتنة بل هي الفتنة ذاتها.

لكن رغم كل ذلك تحمل إخلاصًا وصدقًا يكفي بلدًا، ويفيض على البلدان المجاورة، فحين أحبَّت وهبت نفسها لمن اختارته، وتركت من أجله الدنيا وما

فيها ومن فيها؛ المجد والشهرة والنجومية والأضواء والتصفيق والمعجبين، وذهبت مع زوجها، ولم تعد.

وحين سُئلت في سنوات عمرها الأخيرة، وبعد رحيل زوجها عما تفعله في يومها قالت: أنظر إلى صورة زوجي في كل صباح وأتحدث معه بالساعات وأقص عليه ما يجري وأشكو إليه وأبكي أمامه وأشعر أنه يحتضنني بين ذراعيه، فلا يوجد من هو أحب إلى منه، حتى أحفادي!

هي «هند حسين مراد رستم»، وُلدت في نوفمبر من عام 1929 في حي محرم بك بمحافظة الإسكندرية ودرست بمدرسة «سان فانسان دي بول»، وانفصل والدها عن والدتها وهي لا تزال طفلة، وحين انتقلت إلى القاهرة عام 1946، ذهبت إلى مكتب شركة الأفلام المتحدة، وشاركت بدور صغير مع يحيى شاهين في فيلم «أزهار وأشواك»، وبعدها اشتركت في عدة أدوار صغيرة.

«هند» هي الإثارة حين تكون مبهجة والبهجة عندما تصبح مثيرة!.

فحين رقصت في قطار الصعيد على صوت فريد الأطرش كانت أفضل دعاية لهيئة السكة الحديد وربما أغلب من يصعد إلى القطار إلى الآن يتذكرها ويتمنى لو رآها وينتظر قدومها وجلوسها بجانبه وربما التمس البعض العذر لـ«قناوي» في «باب الحديد» لأنه جُنَّ جنونه حين رآها عن قرب!



ما يميز «هند» أنها قادرة على انتزاع البهجة بداخلك، فطلتها تمنحك فيضًا من الطاقة الإيجابية والحيوية، فرغم شهرتها الواسعة كملكة متوجة على عرش الإغراء، فإن هذا لم يغرها فلعبت أدوارًا متنوعة بين الأم والحبيبة والزاهدة والغانية والصارمة وخفيفة الظل، وعملت مع عدد كبير من كبار النجوم والمخرجين، ورغم أنها لعبت بطولة فيلم «امرأة على الهامش» لكن لم يجرؤ أحد على تهميشها أبدًا.



سُمعة

كان الرئيس عبد الناصر يخصِّص يوم الجمعة لمشاهدة أفلام إسماعيل ياسين، وكانت هناك مجموعة من العاملين في التليفزيون اختصهم الدكتور عبد القادر حاتم - وزير الثقافة والإرشاد آنذاك - لتجهيز فيلم إسماعيل ياسين، وكان يتكون من أكثر من 15 علبة تحملها مجموعة من التليفزيون إلى بيت الزعيم عبد الناصر بمنشية البكري ليلة الخميس أو في صباح الجمعة..

لكن حدث ما لم يكن في الحسبان!.

كان الرئيس يريد مشاهدة فيلم «إسماعيل ياسين في الجيش» ووجد مسؤولو التليفزيون أن هناك علبتين مختفيتين، وانقلبت الدنيا بحثًا عنهما لإرسال الفيلم كاملًا إلى عبد الناصر، وأعلنت الراحلة همّت مصطفى الطوارئ في التليفزيون بحثًا عن العلبتين الضائعتين - حيث كانت تشغل منصب رئيس القناة الأولى -

حتى وجدتها، وأرسلت العلب كاملة إلى بيت الرئيس، تلك الواقعة جعلت كل من يعمل في التليفزيون يعرف إعجاب وولع عبد الناصر بأفلام إسماعيل ياسين، لكن الحقيقة أنها كشفت عن أهمية إسماعيل ياسين في نظام عبد الناصر، فقد كان «سُمْعَة» هو كوميديان النظام الذي قدَّم ستة أفلام حاولت فيها الدولة استغلال نجاحه في دفع الشباب إلى التطوع في أسلحة الجيش المختلفة، بل إنها ساهمت في إنتاج هذه الأفلام والترويج لها لدرجة أن الرئيس عبد الناصر حضر بنفسه حفل افتتاح فيلم «إسماعيل ياسين في الجيش» سنة 1955، أي بعد عام واحد فقط من رئاسته.

كان «جمال» يحرص على مشاهدة أفلام «سُمعة» كل يوم جمعة مهما كانت الظروف السياسية؛ لكن الحقيقة أن «عبد الناصر» لم يكن يهتم بإسماعيل ياسين لولا أنه وجد فيه ما يحقق أهدافه، وقد كانت هذه الأهداف نبيلة ووطنية وذكية؛ فالأفلام الستة التي قام بها «سُمْعَة» كانت فكرتها واحدة سواء كانت تدور أحداثها في الجيش أو الطيران أو الأسطول أو البوليس الحربي أو البوليس السري أو البوليس، فقد كان البطل دائمًا شابًا يتَّسم بالسذاجة المفرطة، لكن بعد نجاحه في سلاحه ومهمته المكلَّف بها يصبح ذكيًا وفاعلًا في مجتمعه ووطنه.

نجح النظام في ما أراد، وتعلقت الجماهير بأفلام إسماعيل ياسين، بل عاشت



بأكثر مِمَّا قُدِّر لها، وظل الأطفال والكبار أيضًا يحرصون على مشاهدتها دون أن يفكر أحد في الهدف الذي تم عمل هذه الأفلام من أجله.

فأنا واحد من جيل أحبَّ إسماعيل ياسين وأفلامه، ولم يكن يدرك حقيقة مغزاها إلا مؤخَّرًا؛ لكنه ظل متعلقًا بها ويضحك كلما رآها رغم أنه يحفظ مشاهدها عن ظهر قلب.

لكن مشكلة إسماعيل ياسين أنه لم يطوِّر من نفسه ولم يحاول إتقان ما يقوم به، ولم يفكر في ما يعمل، فقد ترك نفسه طوال الوقت أسيرًا للصدفة، وكان يؤمن بنظرية «الجمهور المغفَّل» على حد تعبير «السعدني» الذي لخَّص حياة إسماعيل ياسين بقوله: «بدأ إسماعيل ياسين رحلة حياته العجيبة، لم يكن يحلم بأكثر من أن يكون منولوجستًا يُضحِك المعازيم في الأفراح والليالي الملاح، لكنه بالصدفة صار أشهر منولوجست في مصر، وصارت له مدرسة وأصبح له أتباع، ثم بالصدفة أيضًا دخل السينما وصار بين الممثلين! ثم بالصدفة أيضًا أصبح بطلًا، ثم أصبح البطل الوحيد للسينما المصرية على مدى خمسة عشر عامًا، واستطاع أن يفرض اسمه على شباك التذاكر وعلى الموزعين، ثم صار بعد ذلك هو اسم الفيلم، ثم فجأة تدحرج إسماعيل ياسين من القمة إلى النسيان».

ما قاله «السعدني» يكشف ما حدث لإسماعيل ياسين في سنواته الأخيرة،



كأنه هوى مع النظام، فقد تدهورت حالته المادية، وانحصرت شهرته، ولم يجد أمامه سوى أن يذهب لمقابلة الرئيس ليبحث له عن عمل، وبالفعل قابله، وقال له عبد الناصر: «اذهب إلى الدكتور حاتم وقل له الريس بيقولك شغلني في التليفزيون» وأصدر الدكتور حاتم تعليماته لتأليف وإنتاج حلقات تليفزيونية بطولة إسماعيل ياسين، وأيُّ عمل فني يناسب عمره وقد أعطى التليفزيون أجرًا خاصًا لإسماعيل ياسين يعينه على مواجهة الحياة التي ضاقت عليه.

إسماعيل ياسين دفع ثمن الاستسهال، فالكوميديان يختلف عن أي فنان آخر فهو يمكن أن يصعد إلى سماء النجومية كالبرق، لكنه قد يسقط في لمح البصر حين تشيخ «إفيهاته»، وينصرف الناس عنه إلى كوميديان آخر، لذلك يعيش المُضحِك في صراع مع الزمن حتى لا يتجاوزه، فما يُضحِك الناس اليوم ليس شرطًا أن يُضحِكهم غدًا، وهذه آفة الكوميديا.



السادس عشر

أعطى سراج منير خطابًا باللغة الألمانية لعبد السلام النابلسي ليقوم بترجمته باعتباره خبيرًا في الألمانية على حد ادعائه.. فأمسك «النابلسي» بالخطاب ثم ترجمه قائلًا: «لقد كحل السُّهد جفوني يا حبيبي».

فاندهش «سراج» وقال له «ده خطاب عن الماكينات الجديدة» فرد عليه النابلسي: «لو كنت قلت لي كنت ترجمته باللغة الميكانيكية»!

ربما هذا المشهد يتكرر كثيرًا أمامنا الآن في المشهد الإعلامي بصفة خاصة حيث التحليل والموقف والرؤية تبدو وفقًا للهوى ولما يطلبه النظام وما تريده السلطة، فلو غيّرت رأيها تغيّر كل شيء!

ربما خبرة «النابلسي» كإعلامي سابق خلّدت هذا المشهد، ففي عام 1925



خاض «عبد السلام» التجربة الصحفية وعمل في أكثر من مجلة من بينها: «مصر الجديدة» و«الصباح»، وشارك في تأسيس مجلة «آخر ساعة» بصحبة الكاتب الكبير محمد التابعي، وساهم أيضًا في تأسيس صفحة النقد السينمائي بجريدة الأهرام، وكان له باب ثابت في مجلة «الشبكة» بعنوان «نجوم على الأرض». وكتب فيه عن عدد كبير من كبار نجوم الفن الذين عرفهم عن قرب.

وُلد «عبد السلام عبد الغني النابلسي» في عام 1899 في عكار شمال طرابلس اللبنانية إلا أن جذوره في مدينة نابلس الفلسطينية، حيث كان جده قاضي نابلس الأول ومن بعده والده، وعندما بلغ العشرين من عمره أرسله والده إلى مصر أملًا في تلقي تعليمه في الأزهر الشريف، وبالفعل حفظ القرآن ونبغ في اللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية والإنجليزية.

وفي عام 1929 سنحت له الفرصة ليخوض التجربة الفنية على يد السيدة آسيا في فيلم «غادة الصحراء»، لكنه انطلق إلى عالم الشهرة والنجومية عقب مشاركته في فيلم «وخز الضمير» عام 1931، ولم يكتفِ بالتمثيل فقد تعلم الإخراج، وعمل مساعد مخرج لسنوات قبل أن يتخذ قراره بالتفرغ للتمثيل، وذلك بعد أن صارت أدواره الكوميدية بمثابة بصمة في أغلب الأفلام، ولازمه دور صديق البطل الذي نبغ في أدائه، وبرع في صناعة شخصية مميزة له، بغض

النظر عن البطل سواء كان فريد الأطرش أو عبد الحليم حافظ أو إسماعيل ياسين وغيرهم من كبار النجوم.

لكن الحياة لا تسير على وتيرة واحدة، فنجاحه الكبير، جاءت خلفه أزمات ضارية، فقد تفاقمت عليه الضرائب، مما أجبره على أن يقرر العودة إلى لبنان، والاستقرار هناك، وإنتاج العديد من الأفلام.

كانت حياة «عبد السلام» لا تشبه أفلامه، فرغم مرحه في الأفلام فإنه كان جادًّا في واقعه، ورغم صخبه فإنه كان ملتزمًا دينيًّا، ورغم خفة حركته فإنه كان رزينًا وهادئًا ومتأملًا أغلب الوقت، ورغم ما يبدو عليه من ادعاء ثقافة فإنه كان لا ينام قبل أن يقرأ، ورغم لغته المرتبكة كان يتحدث اللغة العربية بطلاقة أزهري تتلمذ على يد كبار الأئمة، لكن ربما الشيء الوحيد الذي لا يختلف في الجد والهزل هو طيبته.

ظل «النابلسي» عازبًا لسنوات طويلة، وفجأة قرر الزواج بعد أن تقدم في العمر، لكن القدر لم يمهله كثيرًا فقد أصيب بمرض خبيث في معدته، لكنه كان يتحامل على نفسه حتى يشارك في الأفلام، وفي خضم صراعه مع المرض أعلن البنك الذي يتعامل معه إفلاسه، مما يعنى إفلاس «النابلسي» فتضاعفت آلامه، وزادت شكواه، ووجعه؛ لكنه خالف تعليمات الأطباء، وأصر على المشاركة في

فيلم «رحلة السعادة» الذي كانت تقوم ببطولته صديقة كفاحه الفنانة «صباح» لكنه لم يكن يعلم أنها الرحلة الأخيرة، فبعد أن وصل إلى تونس حيث أماكن التصوير، ظل يصرخ من الألم، لدرجة أن «صباح» كانت تسمع تأوهاته وهي في الغرفة المجاورة، لكنه لم يكن يشتكي، أو يُصرّح بآلامه.

وظل على حالته حتى جاءت ليلة 5 يوليو 1968 حيث لفظ أنفاسه قبل وصوله إلى المستشفى، ولم تجد زوجته مصاريف الجنازة فتولى صديقه «فريد الأطرش» الإنفاق على جنازته.

نبغ «النابلسي» في التمثيل حتى ظن البعض أنه لا يُمثل بقدر ما يُعبر عن حقيقته، لدرجة أنه عندما سُئلت «إيمي سمير غانم» عن أكثر شخص تحبه، وتتمنى لو حضرت زمنه لتتزوجه من الفنانين القدامى فأجابت بلا تردد: «عبد السلام النابلسي»!



الضيف

انطلق كالسهم الخارج من قوس صائد محترف يعرف طريقه بدقة ويتجه إليه في لحظة، وكان له نصيب كبير من اسمه فهو «الضيف أحمد» وبالفعل كان ضيفًا على الدنيا لمدة 34 عامًا فقط رحل بعدها دون سابق إنذار.

فقد كان عائدًا لتوّه من الأردن بعد أن شارك في إحياء حفل زفاف شقيقة الملك حسين ملك الأردن، وحضر عرض فيلمه الجديد «المجانين الثلاثة»، حينها قرر أن يستأنف بروفات العرض المسرحي «الرجل اللي جوز مراته» في نفس اليوم، وبالفعل شارك في البروفة وقد كان بالصدفة يلعب دور رجل «ميت»، وبعد أن لعب دوره على مسرح «الهوسابير» بإتقان عاد إلى بيته؛ لكنه فجأة شعر بضيق شديد في التنفس، فطلب من زوجته أن تطلب الطبيب، لكن

الآلام تضاعفت، فتم نقله إلى مستشفى العجوزة، وفي طريقه صعدت روحه إلى بارئها.

وُلد «الضيف أحمد الضيف» في إحدى قرى محافظة الدقهلية في عام 1936 لأسرة مكونة من سبع أبناء، وكان ترتيبه قبل الأخير، لفت الأنظار منذ أن كان طالبًا في المدرسة الثانوية، وحين ذهب إلى الجامعة لمعت موهبته الفنية فشارك في عدة مسرحيات كممثل ومخرج، وحاز على الميدالية الذهبية في مسابقة كأس الجامعات، وتخرج في قسم الاجتماع بكلية الآداب عام 1960، بعد أربع سنوات التقطته عين «فؤاد المهندس» واختاره ليكون معه في مسرحيته الجديدة «أنا وهو وهي»، وبعد ثلاث سنوات شارك في تكوين فرقة غنائية كوميدية مع صديقيه سمير غانم وجورج سيدهم.

قدم «الضيف» عددًا كبيرًا من الأفلام في وقت قصير، وأغلبها ما زال عالقًا في الأذهان ومن بينها: «الزواج على الطريق الحديثة» و«30 يوم في السجن»، و«منتهى الفرح»، و«القاهرة في الليل»، و«آخر شقاوة»، و«مطلوب زوجة فورًا»، و«شاطئ المرح»، و«شباب مجنون جدًّا»، و«العميل 77».

والمدهش أن «الضيف» بدأ حياته الفنية، ولمع، وتألق، وصنع اسمه، وشهرته، ونجوميته في ست سنوات فقط، وتحديدًا ما بين عامي 1964 و1970.

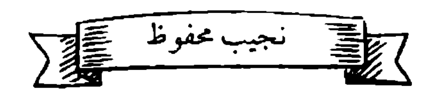
فقد كان موهبة خالصة بلا شوائب، ونجماً بلا ترهلات نرجسية، أو أدوات لتجميل فنه، فهو لا يصطنع الضحك، ولا يُكثر من الكلام كعادة الكوميديان، ولا يلقي بسيل من الإفيهات على أمل أن يضحك الجمهور على أحدها، ولا يحاول أن يكون مضحكًا، بل هو مضحك بالفطرة ليس في حاجة إلى أن ينضم إلى معهد لصقل موهبته، فرغم أنه كان خفيف الوزن فإن الله قد منحه موهبة بثقل جبل المقطم.

لكن لدى «الضيف» موهبة أخرى قد منحه الله إياها، وقد تحدث عنها رفيق رحلته «جورج سيدهم» حين سُئل: ما أفضل شيء تمتع به الضيف أحمد؟ فأجاب: كان إنسان بجد مش تمثيل.



الفصل الثاني

أقصى درجات السعادة أن نجد من يحبنا فعلًا.. يحبنا على ما نحن عليه.. أو بمعنى أدق يحبنا رغم ما نحن عليه.



أمير البهجة

كان «محمد فوزي» يستعد للصعود إلى مكتبه بعمارة الإيموبيليا، وفجأة وجد أمامه طفلًا صغيرًا في الثامنة من عمره يخاطبه قائلًا: «أنا بحبك قوي.. وباكتب أغاني.. ممكن تلحنها لي؟»! فابتسم «فوزي» وانحنى ليُقبل الطفل وقال له: «لما تكبر وتبقى طولي تعالى.. وهالحنلك كل أغانيك».

ومرت السنوات وكبر الطفل الذي كان يردد «ماما زمانها جاية» لكنه ترك كتابة الأغاني واشتغل بالتلحين! وذهب لـ«فوزي» مرة أخرى، وذكّره بنفسه، وتذكره، وقال له «أنا اسمي حلمي بكر»!

تلك القصة التي رواها الملحن «حلمي بكر» تحدد ملامح شخصية أمير البهجة الغنائية «محمد فوزي» وتكشف تواضعه الجمّ وبراءته الصادقة



وإخلاصه المفرط وأثره الكبير في نفوس الجميع من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير، وهنا تكمن عبقريته.

وُلد «فوزي» في إحدى قرى محافظة الغربية وهو الابن الحادي والعشرون من أصل خمسة وعشرين ولدًا وبنتًا، منهم المطربة هدى سلطان، وتعلم في مدارس طنطا، وتلقى أول دروسه في علم الموسيقى على يد أحد رجال المطافئ ويدعى «محمد الخربتلي» الذي اصطحبه للغناء في الموالد والأفراح وفي احتفالات السيد البدوي.

والتحق «فوزي» بعد نيله الشهادة الإعدادية بمعهد الموسيقى، وبعد عامين ترك دراسته ليعمل في ملهى ليلي.

وحين بلغ العشرين من عمره، تقدم إلى امتحان الإذاعة كمطرب وملحن، لكنه رسب مطربًا، ونجح في اختبارات التلحين، فبدا الغناء شبحًا يخشى مواجهته، ففي تجربته الأولى أمام الجمهور فشل، وتعرض لانتقادات كبيرة، فابتعد لفترة حتى التقطته «فاطمة رشدي» وضمته لفرقتها، وعمل معها مطربًا وملحنًا وممثلًا أيضًا.

وفي عام 1944 طلبه يوسف وهبي ليمثل دورًا صغيرًا في فيلم «سيف الجلاد» يغني فيه من ألحانه أغنيتين، وشاهد المخرج محمد كريم الفيلم، وأعجبه



«فوزي» فقرر أن يسند إليه دور البطولة في فيلمه الجديد «أصحاب السعادة» لكنه اشترط عليه أن يُجري جراحة تجميلية لشفته العليا، فخضع لطلبه، ونجح «فوزي»، ولفت الأنظار، بل وقرر بعد ثلاث سنوات فقط أن يؤسس شركة سينمائية تحمل اسمه.

وتألق «فوزي» وبرزت نجوميته، وصارت الإذاعة التي تجاهلته بالأمس، تذيع أغانيه ليل نهار، وبعد ثورة يوليو انتشرت أعماله الوطنية، وصار واحدًا من ألمع نجوم عصره في الغناء والتلحين والتمثيل، بل صار كالشمس التي يدور النجوم كلها، فلحّن لأغلب نجوم الغناء، وصنع 400 أغنية، فلا أظنه كان بحاجة إلى كلمات من كبار الشعراء، فقد كان بإمكانه أنه يُلحن أي كلام يصل إلى مسامعه.

وبجانب الغناء، لمع في التمثيل وشارك في 36 فيلمًا خلال 15 عامًا فقط، ومن فرط حبه للتمثيل أنتج أول فيلم ملون، لكنه لم ينجح، وتعرض لخسائر فادحة.

لكنه لم ييأس، وانتقل إلى تأسيس شركة لإنتاج الأسطوانات وسماها «مصر فون» وأنفق عليها كل ما يملك، ونجحت، وجذب إليه عددًا كبيرًا من كبار النجوم من بينهم أم كلثوم ونجاة الصغيرة، وأتاح الأسطوانات بجودة عالية

وأسعار زهيدة، وحققت الشركة نجاحًا غير مسبوق، لكن الحياة لا تسير أبدًا على الخط المستقيم، ففجأة صدر القرار بتأميم الشركة، وتعيينه موظفًا بها بعد أن أنفق عمره وماله عليها.

لم يتحمل «فوزي» الصدمة، فمرض، وسافر إلى لندن للعلاج، وبعدها إلى ألمانيا، إلا أن المستشفى الألماني أصدر بيانًا قال فيه إنه لم يتوصل إلى معرفة مرضه الحقيقي ولا كيفية علاجه، وإنه خامس شخص على مستوى العالم يصيبه هذا المرض، حيث وصل وزنه إلى 36 كجم. وكما تميز بموسيقاه، ظل مميزًا بمرضه، فقد سمَّى الطبيب الألماني المرض باسمه، وصار «مرض فوزي».

هكذا ظل «فوزي» متفردًا، فرغم أنه مرّ على رحيله أكثر من نصف قرن فإنه ظل حاضرًا ومتوهجًا، ومبهجًا، وما زالت موسيقاه تسكن الوجدان، وتنبعث منها رائحة الياسمين، وتنشر روح الفرح، والمرح، وتحيطك بحب الحياة.



سفيرة النجوم

هي كالقمر تمامًا..

تمتلك قوة جذب عالية، تجعلك أسيرًا لها، ومفتونًا بها.

وهى أيضًا كالساحر؛ لكنها تسحر الوجدان، وتتسلل إلى القلب، وتسحر الآذان، وتُبدل الأحوال، وتعدل المزاج، وتزيد النشوة، وتجعل الناس أكثر بهجة، وحبًا للحياة، لذا تجدها تسكن وحدها أعلى قمة جبل السعادة، فصوتها يجعلك تشعر أنها ليست من سكان ذلك الكوكب الساخط، الصاخب، بل إنها تأتي إلى الأرض في زيارات خاطفة لتسعد سكانه.

إنها السيدة «نهاد وديع حداد» أو «فيروز» كما عرفناها.

فقد وُلدت في منطقة شعبية شيعية تُدعى «زقاق البلاط» على جدرانها



عشرات الصور المعلقة التي تؤكد وحدة الشعب اللبناني، وتجمع بين زعماء السُّنة والشيعة والمسيحيين، وقد اكتسبت هذه المنطقة اسمها وشهرتها عند قيام الدولة العُثمانيّة برصف أزقتها بالبلاط، وقد كانت المنطقة مميزة بطابعها الأرستقراطي، وكثرة قصورها التي لا يزال بعضها قائماً إلى الآن، لكن في صورة أطلال.

أحبت «فيروز» الغناء وعمرها خمس سنوات، لكن أسرتها البسيطة لم تستطع أن تشتري لها جهاز راديو، فكانت تجلس إلى شباك البيت لتسمع أصوات كبار المطربين الآتية من بعيد حيث مذياع الجيران.

وفي حفلة المدرسة التي أقيمت عام 1946 أعلن الملحن «محمد فليفل» عن اكتشافه الجديد ألا وهو صوت فيروز؛ لكن أباها رفض أن تُغني ابنته أمام العامة، لكن بعد محاولات أقنعه «فليفل» أنها لن تغنى سوى الأغاني الوطنية، فوافق الأب مشترطًا أن يرافقها أخوها، وقد أخبروها أنها سوف تتقاضى مئة ليرة في الشهر.

وفي عام 1940 ضمها «فليفل» لفريقه الذي كان ينشد الأغاني الوطنية، وبدأت العمل كمغنية «كورس» في الإذاعة اللبنانية، وسرعان ما لفتت نظر الجميع، وألّف لها مدير الإذاعة اللبنانية أولى أغانيها، لكنها دخلت عصر

النجومية في عام 1952 حين تعاونت مع «عاصي الرحباني»، وأحدثت «فيروز» مع «آل رحباني» ثورة في الموسيقى العربية، وذلك لتميزها بقصر مدة الأغنية، وعمق معانيها، فصارت أغانيها تتردد على كل الألسن، وتذيعها كل الإذاعات العربية.

فيروز ظلت كما هي لم تتبدل أو تتحول ولم تترك وطنها في أثناء الحرب حتى حين فقدت نجلها وتهدم بيتها، ولم تستخدم السياسة سلّمًا لتصعد درجات المجد بخطى أسرع، بل تجنبتها، وابتعدت عن أهلها، لكن السياسة لم تُخلِّ سبيلها، فمُنعت من الغناء لأنها رفضت أن تغني لأحد الرؤساء، فهي لم تذكر في غنائها اسم أي رئيس قط، رغم أنها غنت لعدد كبير من الدول العربية، فهي تغني للشعوب ولا يشغلها الحكام، فهم زائلون، و«أنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود»، وكذلك صوت فيروز الذي جعل «الغنا سر الوجود».

قدّمت مع الأخوين رحباني، وأخيهما الأصغر إلياس، المئات من الأغاني التي تصدرت بها الساحة العربية، وصارت واحدًا من أجمل أصوات الكرة الأرضية، وبدت كأنها تطل علينا من كوكب تسكنه وحدها، ولحسن حظنا أنه يجاور كوكبنا.

قِبلة العاشقين

هو كالنجم..

يسكن في السماء ليهتدي به سكان الأرض، وبريقه ينير طريق السائرين، ويمنحهم طاقة هائلة من الدفء، والحب، والحيوية، والبهجة.

وإذا كان للشعر نجم واحد فقط فهو نزار، وإن كانت هناك قِبلة للعاشقين فهي أشعاره، وإذا كان هناك شاعر واحد تجاوزت نجوميته نجوم الغناء فهو بلا شك نزار، وإذا كان الشعراء يتبعهم الغاوون فمن المؤكد أن كل الغاوين يلهثون خلف نزار قباني، فهو قادر على خطف الأضواء، وجذب الكاميرات، وهو الأبدع والأقدر على مخاطبة النساء.

«نزار» رجل صنْعتُه المتعة والنشوة، ورسالته في الحياة نشر الحب والأمل

بين البشر، ومهمته إسعاد البشر وتحديدًا النساء، فلا أظن أن هناك امرأة جميلة ورقيقة وفاتنة لا تحب نزار، فقد صنع لهن قاموسًا خاصًا، وطوّع اللغة لخدمتهن، وجعل للكلمات بريقًا يليق بهن، فصار ملكًا متوجًا داخل قلوب الحسناوات.

وُلد «نزار» في 21 من مارس عام 1923 من أسرة سورية، فجده «أبو خليل القباني» من رواد المسرح العربي، ووالده «توفيق القبّاني» كان يملك مصنعًا لإنتاج الحلويات، وساعدته عراقة عائلته على الانخراط في السلك الدبلوماسي فور تخرجه في كلية الحقوق من الجامعة السورية.

وتنقل «نزار» بين عواصم العالم المتقدم؛ فقد عُيّن في عام 1952 سفيرًا لسوريا في لندن لمدة سنتين وأتقن خلالها اللغة الإنجليزية ثم في أنقرة، ثم اتجه إلى الصين لمدة عامين، وبعدها ذهب إلى مدريد لمدة 4 سنوات، ثم قدم استقالته وتفرغ للشعر في عام 1966.

رحلات «نزار» الطويلة بين البلدان المختلفة صقلت تجربته، وساعدته في فهم طبائع البشر، والغوص في قلوب الشعوب، فقد بدأت موهبة كتابة الشعر قبل أن يتخرج في الجامعة، لكنها نضجت مع الوقت، فحين حاول البعض التقليل من شأنه والسخرية من جماهيريته العريضة بين النساء، والطعن في

شِعره، واتهامه بأنه لا يكتب إلا للمراهقين، كان رده عليهم قاطعًا مانعًا، حيث اتجه إلى كتابة القصائد السياسية.

«نزار» حمل قلب عاشق ثوري الهوى، فمثلما كان استثنائيًا في كتابة الغزل، كان فذًا في قصائد الهجاء، فحين انتقل إلى كتابة قصائده السياسية أشعل الدنيا، ونقل جماهيره الغفيرة من التحليق في السماء، ومتابعة الأمواج على شواطئ البحار والمحيطات إلى تحريك الفيضانات، ومواجهة العواصف، وعندما وقعت الهزيمة في يونيو 1967 هاجم كل الأنظمة العربية، وكتب ملحمته «متى يعلنون وفاة العرب؟»، بل ثار في وجه جمال عبد الناصر، وانتقده بقسوة، وحين علم بنبأ رحيله لم يصدق أنَّ الهرمَ الرابعَ مات؟!

لكن المدهش أن من يقرأ شعر «نزار» يظن -وبعض الظن إثم- أن هذا الرجل لم يذق طعم الحزن طوال حياته، لكن على العكس تمامًا فقد عرف مآسي عديدة طيلة حياته، فقد قُتلت زوجته «بلقيس» خلال تفجيرٍ انتحاري استهدف السفارة العراقية في بيروت حيث كانت تعمل هناك، وكتب فيها مرثية خلّدتها بعنوان «بلقيس» جاء فيها:

بلقيس.. كانت أجمل الملكات في تاريخ بابل

بلقيس.. كانت أطول النخلات في أرض العراق



كانت إذا تمشي ترافقها طواويس، وتتبعها أيائل

وبعد رحيل «بلقيس» رحل نجله «توفيق» ورثاه بقصيدة أبكت الورق الذي كتبه عليها، لكن أكثر حادثة أثّرت في حياته كانت انتحار شقيقته «وصال» بعد أن أجبرها أهلها على الزواج من رجل لم تكن تحبّه، وهو ما ترك أثرًا عميقًا في نفسه، وربما ساهمت تلك المأساة في صياغة فلسفته في الانحياز إلى المرأة، وإيمانه المطلق بتحريرها، وتعيين نفسه حاميًا، ومحاميًا لها.



الضوء المسموع

هي كالحرير..

«بريق لا ينطفىء، وطاقة هائلة تصنع الدفء رغم النعومة الظاهرة، وصلابة شديدة رغم المرونة العالية، وقدرة كبيرة على الاحتمال رغم الرقة».

هكذا أرى «نجاة الصغيرة» وأُحبها صوتًا وصورةً، فهي صاحبة الصوت الذي تضطرب معه نبضات القلب، وهي ذلك الضوء المسموع - كما وصفها كامل الشناوي - لكنها أيضًا دقيقة إلى حد الوسوسة تدقق في اختيار كل شيء لدرجة أن البعض يقول إن نصف الأغاني التي سجلتها طلبت عدم إذاعتها، ولم تضعها في ألبومات غنائية، لأنها شعرت أن تلك الأغاني رغم روعتها واشتراك كبار الشعراء والملحنين فيها، أقل من قيمتها ومما ينتظر الناس منها، فهي لا تغني إلا ما يمس قلبها وتظن أنه سيمس قلوب محبيها.

وُلدت «نجاة» في القاهرة رغم أن والدها سوري، لكنه هاجر إلى مصر في شبابه وعمل خطاطًا، وتزوج سيدة مصرية أنجبت له ثمانية أبناء من بينهم سعاد حسني ونجاة الصغيرة، وربما لذلك أُطلق على بيته «بيت الفنانين».

وقد شاركت نجاة في أول عمل فني لها وعمرها ثماني سنوات، وذلك من خلال فيلم «هدية»، ثم سجلت أول أغنية خاصة لها وعمرها ستة عشر عامًا، وحين بلغت التاسعة عشرة كلف والدها شقيقها الأكبر ليقوم بتدريبها على الغناء لأم كلثوم.

تتقن «نجاة» اختيار كل تفصيلة في أغانيها، وتتفنن في غناء ما يشبهها، فأغانيها تركت في النفوس علامات، فمَن لا يذكر «شكل تاني» و«أيظن» و«القريب منك بعيد» و«ساكن قصادي» و«متى ستعرف كم أهواك» و«أمّا براوة»، وغيرها؟

براعتها في أداء أغانيها كانت سببًا في سيل من الشائعات، فحين تغنت وأبدعت في أغنية «لا تكذبي» وجعلت للكلمات صوتًا وصورة، وتفوقت على صاحب الشعبية الكبرى عبد الحليم حافظ، وصاحب اللحن الأبدع محمد عبد الوهاب، صيغت قصص خيالية حولها من براعتها في الأداء، وبحث عن الناس عن أي سبب -ولو مختلَقًا- يبرر هذا التفوق البالغ لامرأة على رجلين رغم أن

الأغنية قصة رجل خانته امرأة، فكيف تنجح المرأة في غنائها ويفشل الرجل؟!

نجاة أقل جيلها إنتاجًا، ورغم ذلك تشعر بثراء الإنتاج لدقة وروعة الاختيار، فلا توجد أغنية لها يمكن أن تتجاهلها، أو تقلل من أهميتها، فهي تبذل جهدًا خرافيًا كي تصل إلى مكانها ومكانتها في القلوب، وتملك كل الأدوات لتحقيق تلك المنزلة، فهي تتمتع بالرقة، والعذوبة، والألق، والتألق والجمال، والدلال، والحضور، والإيقاع، والنغم، والصوت الناعم الذي يسكن القلب، هذا بجانب ذكائها الذي جعلها تقدم آخر أفلامها وهي في أوجّ نجوميتها في منتصف السبعينيات.



جبل الحب

لو أن أحدًا تبرع، وتفرغ، وقرر أن يكتب حوارات كامل الشناوي في جلساته الخاصة لصار لدينا تراث هائل من الفكر والفن والسخرية، لكن لسوء حظنا أن تراث كامل الشناوي أغلبه شفاهي، فلم يهتم بتدوين ما يقوله، ولم يحاول أي باحث التنقيب عمّا جرى في هذه الجلسات التي كانت بمثابة تاريخ موازٍ للتاريخ الرسمي، لكنه تاريخ حقيقي، وتأريخ مهم ومختلف ممن حضر، وشهد، وشاهد، ورصد، وفهم، وقرأ، ورأى، وسمع، وعلم، وفسر، ثم سخر من كل الحكام!

فقد امتلك العم كامل الشناوي موهبة أثقل من الهرم الأكبر، وإحساسًا أعلى من برج الجزيرة، ومعاني أعمق من البحر الأحمر، وعذوبة أعذب من ماء النهر، وخفة ظل يستظل بها الجميع.

إنه الجبل المتحرك بالحب والسخرية، الذي يشم رائحة الموهبة على بُعد ألف ميل، ويسعى إليها، ويجذبها نحوه، ويجاهد في سبيل أن يدفع بها خطوات إلى الأمام.

فقد كان يقطر فنًّا وأدبًا وسخريةً وثقافةً وفكرًا وشعرًا وإنسانية، وكل من حضر جلساته يحلف بها، ولا ينسى ما دار فيها، فقد نحت ألفاظًا جديدة، ومعاني مختلفة، وأفكارًا مبتكرة، وعبّر عن مشاعر لم يستطع التعبير عنها غيره، فكلماته على الورق كان لها صوت وصدى.

هكذا ظل الشناوي منذ عمل في جريدة «كوكب الشرق» عام 1930 وبعدها بخمس سنوات اختاره الدكتور طه حسين ليعمل معه في جريدة «الوادي»، وفي الوقت نفسه عمل في مجلات «آخر ساعة» و«الاثنين» و«المصور» وحصل على لقب «بك» من الملك فاروق، وبعد الثورة صار رئيسًا لتحرير «الأخبار»، فرغم حدّته فإن خفة ظله كان تجُبّ كل شيء، وفي ذات الوقت لم يكن موقفه السياسي مائعًا بل كان واضحًا، لكن أيضًا لم يكن منتميًا إلى إلى حزب أو جماعة، فهو حزب مستقل، وجماعة ضخمة!

لذلك يقول عنه أنيس منصور: «الشناوي اختار أن يكون عاشقًا للسياسة، وعاشقًا للقضايا الإنسانية، ولم يكن له لون سياسي، وإنما هو صديق الساسة،



لهذا كان الثناء ينهال عليه من جميع الاتجاهات، فالجميع يتعامل معه كقيمة عظيمة فوق كل الاتجاهات والميول والأحزاب، والسر أنه معجون بالمصرية المتسمة بالتسامح والمكر وسعة الصدر».

كان ميلاده عقب وفاة الزعيم الوطني مصطفى كامل، فسماه والده مصطفى كامل تيمنًا بالزعيم الوطني، وألحقه بالأزهر، لكنه لم يرتدِ العمامة والجبة والقفطان سوى خمس سنوات فقط بعدها هرب من حي الحسين، وذهب إلى شارع عماد الدين حيث المسارح والسينما، ووجد ضالته في القراءة، ومجالس الأدباء، فدرس الآداب العربية والأجنبية، وصار من الهاوين، والغاوين للشعر، وأعلامه، فغنّى من كلماته كبار مطربي عصره، من أم كلثوم إلى عبد الوهاب، ومن فريد الأطرش إلى عبد الحليم حافظ، ومن نجاة إلى شادية.

بجانب رومانسيته المفرطة، كان «الشناوي» من ألمع ظرفاء عصره، وكانت سخريته تطال الجميع، من الرئيس إلى الخفير، ومقالبه كانت لا تترك أحدًا، فلم يسلم منها حتى شقيقه المعتز بالله الشناوي الذي حين تخرج محاميًا أعدّت له الأسرة لافتة ضخمة كُتب فوقها «المحامي أمام المحاكم الشرعية» فتسلل «كامل» ليلًا ليزيل كلمة «أمام» ويكتب بدلًا منها «وراء» وظلت اللافتة أيامًا قبل أن ينتبه «المعتز» لما جرى فيها، فذهب يشكو كامل أخاه إلى والده الصارم

والقاضي الشرعي، لكنه نجا من العقاب عندما فسّر تصرفه بأن محل إقامتهم كان بالفعل خلف المحكمة الشرعية وليس أمامها!

وبعدما استقر الأب في القاهرة نائبًا لرئيس المحكمة الشرعية العليا، اختار لأسرته مسكنًا من طابقين في منطقة الأعيان بالسيدة زينب في جنينة ياميش، مخصِّصًا غرفة في الطابق الأسفل لابنه الأكبر «كامل» للتفرغ لدراسته بالثانوية الأزهرية.

وكان للحجرة باب يفضي إلى الشارع تأتي منه «شلة الأنس» ومن بينهم «محمود المليجي» و«زكي طليمات» وفتحي رضوان» وغيرهم من نجوم الفن والسياسة، وفي أحد الأيام دخل والده الغرفة فوجده يلعب الورق مع أصدقائه، فجُنّ جنون القاضي الشرعي، وصرخ بأعلى صوته: «بتلعبوا قمار.. وفي بيتي؟!»، وارتج كامل للمفاجأة لكنه سارع قائلًا: «أبدًا يا بابا.. إحنا بنلعب بوكر»!

فخفت صوت الأب، وقال: «إوعى يا ابني يكون قمار».. فقال كامل: «والله العظيم بوكر يا بابا»!!





«صباح» السعادة

سُئلت الشحرورة «صباح»: ما أصعب دور واجهك طوال حياتك الفنية؟

فأجابت: أي دور كان فيه بكاء؛ لأنني ببساطة لا أستطيع البكاء، ولا أحب الحزن، وكل دموعي في السينما كانت تمثيلًا!

هي إنسانة أحبّت الحياة، والحيوية، وعاشت من أجل البهجة حتى فارقت الحياة، بل إنها أوصت بالرقص والغناء في جنازتها لتُدخل السعادة في قلوب محبيها ومودّعيها حتى بعد رحيلها، وكانت تمتلك وحدها كل مفردات البهجة، وكان تعبر عن ذلك بالغناء، وقد تجاوز عدد الأغاني التي تغنت بها ثلاثة آلاف أغنية، بجانب ما يزيد على الثمانين فيلمًا، وقرابة 27 مسرحية.

ربما كان السؤال الذي يطرحه أغلب الناس طيلة حياتها هو: كم مرة تزوجت «صباح»؟!



وكانت لا تهتم بهذا السؤال، فكانت تعيش كما تحب، وتريد، وترغب، وتشعر، وليس كما يحب الناس، ربما لتقاوم ذلك الشعور الذي تغنت به في رائعتها «ساعات.. ساعات» حين قالت: «ساعات باحسّ قد إيه إني وحيدة».

بدأت «صباح» مسيرتها الفنية في بيروت في مطلع أربعينيات القرن الماضي، واشتهرت هناك رغم صغر سنها، ولفتت انتباه المنتجة السينمائية «آسيا داغر» فوقَّعت معها عقدًا لعمل ثلاثة أفلام، واتفقا أن تحصل «صباح» على أجر قدره 150 جنيهًا عن الفيلم الواحد، وكان أول أفلامها «القلب له واحد» وعمرها لم يكن قد تجاوز الثمانية عشر عامًا.

وخضعت الشحرورة لبرنامج تدريبي مع الموسيقار رياض السنباطي لتستطيع أن تؤدي كل ألوان الغناء، وتغيَّر اسمها من «جانيت» إلى «صباح».

ولعل هذا الاسم كان موفقًا بصورة لا أظن أن مقترِحه كان يتصورها، ربما جمالها اللافت كان سببًا في اختيار الاسم، لكن مع مرور الزمن صارت مصدر بهجة لكل من يراها في الصباح، وظلت محبة للحياة، والسعادة، وقبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة سألوها: ماذا تريدين أن تقولي لجمهورك؟ فقالت: «أنا بحبكم.. أتمنى ألا تزعلوا وقولوا راحت مطرح كتير حلو.. ولا أريد أن يبكي أحد لفراقي».

الوَنَس

حين تستلقي على ظهرك أمام شاطئ البحر قبيل غروب الشمس أو في لحظة شروقها تتأمل جمال السماء، وروعة السحاب، وزُرقة الماء، وتلمح المراكب السائرة، وتتابع الأمواج المتلاطمة... في هذه الأثناء قد يتسلل إلى أذنك صوت تغريد البلابل والعصافير ودعاء الكروان.

هكذا يأتي إلينا نغم «ماجدة الرومي» صاحبة الصوت الأوبرالي، والقوام الفرنسي، واللهجة الشامية، والثقافة الراقية، والإنسانية المفرطة، والانسيابية المذهلة، والحس المرهف، والفكر الرائق، والشخصية القوية، والإطلالة المتأنقة، والخطى الواثقة، والفساتين اللامعة.

وُلدت ماجدة الرومي في بلدة «كفر شيما» بلبنان، وأدركت في سن مبكرة

جدًّا أن صوتها مميز، وكانت كلما رآها أحد من الجيران يقول لها «غنّي لنا»، فتغني لهم، وتسعدهم، لكن أول تسجيل غنائي لها كان ترتيل كنيسة حفظته عند الروم الكاثوليك بعنوان «ميلادك».

وقبل أن تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها، التحقت باستديو الفن عام 1974 الذي كان يقدّمه تليفزيون لبنان، وغنت أغنية «يا طيور» للفنّانة الراحلة أسمهان، وأظهرت هذه الأغنية طبقات صوتها، وبدت كأنها تحمل في ثنايا صوتها أوركسترا كاملة، لكن والدها أصر على أن «العلم قبل الفن» ورضخت لرغبته، واستكملت تعليمها العالي.

وبعد عام واحد فقط نشبت الحرب في لبنان، وتمزق شمل عائلتها، وسجلت أول أغنية لها «عَم بحلمك يا حلم يا لبنان» ثم انتقلت إلى القاهرة وشاركت في بطولة فيلم «عودة الابن الضال» لتنطلق نحو الشهرة والنجومية، وتبدأ تسجيل أسطوانتها الأولى «خدني حبيبي»، لتتألق في مهرجان قرطاج، ويصير لها جمهور كبير ينتظرها، ويأنس بصوتها.

روح «ماجدة» تطغى على الكلمات والألحان، ربما لأنها تؤمن أن أقصر الطرق إلى قلوب الناس هو الطريق المستقيم، والزيف مهما طال فهو إلى زوال، وأن صوتها يجب أن يعبر عن أحاسيسها، والسكينة التي تسكن نفسها.

الغناء لدى السيدة «ماجدة الرومي» هو طاقة حب، وفرح، وأمل، ووجهة نظر أيضًا، فالأغنية لديها ليست مجرد كلمات، وموسيقى، بل هي تعبير عن رأيها في كل ما يجري حولها، لذا حين تقف على خشبة المسرح تشعر أنها ليست في حاجة إلى موسيقى أو عازفين أو كلمات، فصوتها يكفي حين ينتهي الكلام، لتشدو كالبلابل فوق الأغصان.



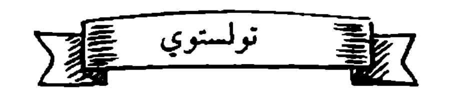
الفصل الثالث

السعادة هي أن تملك ثلاثة أشياء:

شيء تعمله..

وشيء تحبه..

وشيء تطمح إليه.



الأستاذ

حين نذكر اسم «فؤاد المهندس» نكون قد وصلنا إلى «مَصنع البهجة» الذي خرج منه عدد هائل من الصُناع، فلم يكتفِ بالصنعة فحسب، وإنما أنشأ مصنعًا ضخمًا متخصصًا في فن إسعاد الناس.

فقد منحه الله طاقة هائلة من الموهبة تكفي عشرات الفنانين فاحتفظ بها لنفسه، ولم يُطلع عليها غيره، فبإمكانه أن يُضحك الأرض التي يسير عليها إن أراد، لكنه في الوقت ذاته يؤمن بأن «الضحك مالوش كبير» وأن الكوميديان يمكن أن يقول كل شيء ولا يُضحك أحدًا، ويمكن أن لا يتكلم مطلقًا ويُسقط الجمهور على الأرض من الضحك!

لذا لم يتعالَ على المسرح يومًا، ويحترم تلك الخشبة احترامًا بالغًا ولا يصعد



عليها إلا بعد أن يقرأ الفاتحة ويطمئن أن المصحف في جيبه المجاور لقلبه، ربما لذلك هو الأستاذ، فقد خرج من عباءته عدد كبير من كبار نجوم الكوميديا، وظل محتفظًا ببريقه، وألقه، وتألقه في المسرح والتليفزيون والسينما.

وحين سُئل عما إذا كانت معه تذكرة واحدة للمسرح فإلى مَن يذهب: عادل إمام أم محمد صبحي؟

فأجاب: «بما إني كبرت على النصائح، فسأذهب إلى مسرح عادل إمام عشان أنبسط».

فهو يؤمن أن مهمة الفنان الأولى، والأساسية، والرئيسية هي إدخال السعادة إلى قلوب الجماهير، وأن أي دور آخر يأتي في المرتبة التالية، فلا يمكن أن تكون مؤثرًا أو صاحب رسالة فنية ولا تقدمها في قالب جذاب يُمتع الناس قبل أن يعلمهم.

شكّل «المهندس» مع «شويكار» ثنائيًا مذهلًا، ولمعا معًا، وتفننا في صناعة البهجة، ونسجا خيالًا خصبًا ومختلفًا، وتزوجا على خشبة المسرح!

ففي أحد مشاهد مسرحية «السكرتير الفني»، وفي ذروة سعادة الجمهور الغامرة وتصفيقه وقهقهته، فاجأ المهندس، شويكار قائلًا لها: «تتجوزيني يا بسكوتة؟!».

فارتبكت، وفرحت، ووافقت.

ومثلما فاجأ المهندس، شويكار، كان يفاجئ دائمًا الجمهور والممثلين والمؤلف والمخرج، فهو يتصرف وفق ما تقتضيه اللحظة، وتبعًا لحالة الجمهور وانسجامه مع العرض.

لكنه كان يدرك أن لكل مجال معادلته الخاصة، وتفاصيله الدقيقة، ربما لذلك نجح في المسرح، والسينما، والتليفزيون، والراديو، رغم أن كل مجال كان له أساطينه و«أسطواته».

لكن «المهندس» كان يملك جراب الحاوي الذي يحوي كل شيء، فيتألق في «سيدتي الجميلة»، ويبرع في «أرض النفاق»، ويلمع في برنامج «كلمتين وبس» ويتعملق في فوازير «عمو فؤاد»؛ لأنه وحده الأستاذ.



الحريف

أَطلِق لخيالك العنان، وانظر إلى أقصى مدى تلتقطه عيناك.. هناك ستجد نجمًا يحلّق بعيدًا في الآفاق، ويجلس متربعًا على عرش الأكبر جماهيرية والأعلى أجرًا لأكثر من ثلاثين عامًا متصلة.

هذا هو الحريف عادل إمام الذي تظل رحلة صعوده إلى القمة وتفرده بها لغزًا محيرًا، تمامًا مثلما تظل العبقرية لغزًا غامضًا، لا أحد يعرف حدودها ويضع يده على مداها، فكل صيغ المبالغة الموجودة في اللغة العربية لا تعطي العبقري حقه، فهي معجزة أشبه بمعجزة بناء الأهرامات، كلما مر عليها الزمن كشف لنا جزءًا من صلابتها؛ لأن الموهبة وحدها لا تكفي، واستثمار الموهبة لا يقل أهمية عن الموهبة ذاتها.

قد يفسرها المنجمون بأنها الميلاد في ظل نجم سعيد، وقد يفسرها المؤرخون بأنها التقاء الموهبة الفردية الخاصة باللحظة التاريخية المناسبة، لكنها رغم ذلك ومهما توفر للمرء على دراستها وتحليلها، تظل تبدو كطاقة خفية تفصح عن وجودها في تجليات عديدة دون أن يتمكن الإنسان من إدراك سرها أو الإلمام بمجالها كاملًا... وإلى هذه السلالة العريقة ينتمي عادل إمام، فقد حباه الله بطاقة نفسية رهيبة -مثلما تصفه الناقدة نهاد صليحة- تجعل وجهه يتلون من لحظة إلى أخرى بسرعة البرق، ودون جهد ملموس.

عادل إمام كان يعرف بالضبط إلى أين هو ذاهب، لكنه لم يخبر أحدًا، ربما لأن ما يدركه كان يصعب تصديقه، فلا أحد يصدق أن «الباشكاتب» في مسرحية «أنا وهو وهي» التي كان بطلها فؤاد المهندس يمكن أن يصبح «الزعيم» في يوم من الأيام، لكن عادل إمام كان أذكى من الجميع دائمًا، استطاع أن يصعد درجات السلم الفني درجةً تلو الأخرى ليجلس منفردًا على القمة لسنوات طويلة، لذلك أعتقد أنه لو أن هناك جائزة تُمنح لأذكى فنان في تاريخ مصر، لحصل عليها عادل إمام دون منازع، فنجوميته واحدة سواء كان في السينما أو المسرح أو على شاشة التليفزيون، أو حتى ضيفًا في البرامج، وهو أيضًا

يحتفظ بمكانه ومكانته في كل الدول العربية بنفس القدر والقدرة، والتمكن والإمكانية.

ولعل أكثر شيء يدل على ذكاء عادل إمام وقدرته على «لعب» كل الأدوار، حكايته مع كرة القدم، ففي منتصف السبعينيات بعد أن قام بعمل مسرحية «مدرسة المشاغبين» سأله الناقد الرياضي نجيب المستكاوي عن النادي الذي يشجعه فأجاب: أنا زملكاوي بشدة، لم أفكر في أسباب حبي للزمالك، فقد وجدت نفسي من ثانوي أحب الزمالك، ربما لأنه أقوى الأندية في الستينيات، ولأنني أكره «العنطزة» وقد أعجبتني في الزمالك البساطة. لكن عندما تم توجيه إليه نفس السؤال بعد أن أصبح «الزعيم» في أواخر التسعينيات، أجاب: «من شروط حصولك على الجنسية المصرية أن تشجع النادي الأهلي»!



المحظوظ

لا أستطيع أن أحبه، ولا يمكن أن أتجاوزه!، هو فن بلا عقل، وموهبة بلا مغزى، وتعليم بتلا ثقافة، وتمثيل بلا نقطة بداية، وطريق بلا معالم - مثلما يصفه محمود السعدني فبعد شهرته غرق لشوشته في دوامة التفاهات رغم بروزه كنجم شباك ومنافسته لفؤاد المهندس.

إنه المضحك «محمد عوض» الذي كافح طويلًا في بداية حياته حين صار مسؤولًا عن ثلاث بنات، ووالدته بعد رحيل والده، ومر بظروف مادية قاسية، وهو في مقتبل العمر، فاضطر إلى أن يعمل في مصلحة المساحة، لينفق على دراسته وأسرته، وبعد حصوله على التوجيهية، أراد الالتحاق بالكلية البحرية، ولكن سرعان ما تغيرت رغبته ودخل كلية الآداب قسم الفلسفة، وبعد إتمام تعليمه الجامعي انتقل للعمل بهيئة الإصلاح الزراعي.



لكن طوال هذه المعاناة كان يبحث عن ذاته المشغولة بالفن، وكان متأثرًا بنجيب الريحاني لدرجة أنه كان بارعًا في تقليده، وتحمل كثيرًا حتى سنحت له الفرصة لتقديم مواهبه، فصعد سلم المجد وتدرج فيه من كومبارس إلى صاحب البطولة المطلقة، ونجم الشباك الأول، لكن مثلما وصل إلى برج حظه في الستينيات والنصف الأول من السبعينيات، عانده النَّحس في نهاية السبعينيات والثمانينيات.

يؤمن الكوميديان أكثر من غيره بالحظ، فيمكن بـ«إفيه» واحد فقط أن يصبح نجمًا يبحث الجميع عنه، ويلتف المنتجون حوله، ويلهث المخرجون خلفه، وقد تُنهي أزمة صحية طارئة حياته الفنية، والمسرح علَّم الكوميديان أن الجمهور يمكن أن يرفعه إلى السماء بضحكاته، ويمكن أن يهبط به إلى الأرض بصمته.

و«عوض» واحد من أكثر المؤمنين بدور الحظ في حياة الإنسان عامة والفنان على وجه الخصوص، فقد أفرد مسلسلًا كاملًا سمّاه «برج الحظ» ولعب واحدًا من أجمل وأبدع أدواره وهو «شرارة» ذلك الرجل الذي يذهب معه النَّحس أينما حلّ، وقد نجح عوض نجاحًا لافتًا جعل المسلسل واحدًا من أشهر الأعمال في تاريخ الدراما، بل إن تأثيره تجاوز الشاشة الصغيرة إلى حد جعله مؤثرًا في الشارع.

فكل شخص تُشتَمّ فيه رائحة النَّحس يطلَق عليه «شرارة» حتى إنه في لحظة واحدة صار هناك مئات الأشخاص الذين يحملون لقب «شرارة» في نهاية السبعينيات رغم أن «شرارة» أدرك أنه لم يكن منحوسًا بقدر ما كانت مؤامرات البعض عليه هي ما جعلته يبدو كذلك.

لكن «عوض» عقب نجاحه الكبير في «برج الحظ» لم يحالفه الحظ في أعماله التالية، ولم يعد يتربع على شباك الإيرادات كعادته في الستينيات، فبعد أن كان يقوم بعمل ثمانية أفلام في عام واحد، وبعد أن قدم قرابة ستين فيلمًا في ثمانية عشر عامًا فقط (من عام 1960 إلى عام 1978)، لم يقدم سوى ثمانية أفلام في تسعة عشر عامًا بعدها!

فبعد أن كان نجم الشباك الأول بدأ نجمه في الأفول، لكن المدهش أن عمنا محمود السعدني توقع ذلك قبل نحو عشر سنوات، حين كان عوض في قمة نجوميته، بل إنه جزم بأن محمد عوض لن يستمر سوى عشرة أعوام فقط وبعدها سيأفل نجمه، ولن يعود إلى مكانه ومكانته، وستهجره الأضواء تدريجيًّا، وستكون نهايته الفنية!

كان السعدني جازمًا بصورة مثيرة للاهتمام، كأنه كان يقرأ الغيب، وقد تحققت نبوءته.

الكيميائي

سُئل النجم الكبير «يحيى الفخراني» كيف تختار أدوارك؟

فأجاب: أبحث عن الدور الذي أحبه، ويمكنني أن أقدمه مجانًا، ثم أتحدث عن الأجر، وبهذه الطريقة أكون قد حصلت على أجري مرتين، الأولى: حين قدمت ما أحب دون النظر إلى العائد، والثانية حين حصلت على مقابل مادي.

هذا هو «يحيى الفخراني» الرجل الذي حين تذهب إليه الدراما طائعة يهجرها إلى المسرح، وحين تختاره السينما راضية يتجه إلى التليفزيون؛ ليس ترفعًا أو تفاوضًا لكسب مزيد من المال، لكن لأنه لا يتحرك من مقامه إلا في اتجاه ما يحب، وما يعتقد أنه مختلف، لذا تجده كلما كبر نضج فنيًّا ونفسيًّا، وزاد عدد محبيه ومتابعيه ومريديه، وهذا عكس سيرة ومسيرة أي فنان من نجوم الصف الأول؛ فالنجم عادة ما يصل إلى ذروة النجومية في منتصف عمره الفني

ـ وأحيانًا في بداياته ـ وحين يتقدم في العمر، ويتجاوز سن السبعين يزداد عدد نقاده ويقل مريدوه، بل أحيانًا يصير مثارًا للسخرية، ويتجه للعب الدور الثاني والثالث في الأعمال الفنية، أو احتراف الحديث في الفضائيات، أو الاحتجاب في منزله.

وُلد «يحيى» في أبريل 1945، وحصل على بكالوريوس الطب عام 1971، وخلال سنوات الكلية انضم إلى فريق التمثيل، وحصل على جائزة أحسن ممثل على مستوى الجامعات المصرية، وعند تخرجه عمل طبيبًا ممارسًا لفترة قصيرة، وكان ينوي التخصص في الأمراض النفسية، لكنه احترف الفن واعتزل الطب.

وقد تعرف في أثناء الكلية على «ميس جابر». وقد حادثةً وقعت في أثناء سنوات الدراسة كان لها أكبر الأثر في نفسه تجاه «ميس»، ففي ذات مساء على خشبة المسرح الجامعي كان يعرض مسرحية، وحدث في المشهد الأخير خطأ من إدارة المسرح فترك المسرح غاضبًا.

حينها ذهبت إليه زميلته بالكلية، وطلبت منه أن يعود للمسرح، ويُحيّي الجمهور، واستجاب لها، وصفق الحاضرون له، وشعر أنها الأقرب إلى قلبه وعقله، فقرر الارتباط بها.



المدهش أن الفخراني يزداد أَلَقًا وتألقًا مع كل عمل جديد يقدمه، بل إن بعض من كانوا يجهلون أعماله صاروا من أشد متابعيه والمتحمسين له، ربما لأن معادلة صناعة البهجة لدى «الفخراني» تتلخص في أربع كلمات «إذا انبسطت هابسط الجمهور».

يذهب «الفخراني» حيث يحب، ومن ثم يلهث الناس خلفه؛ فالجمهور يستشعر الصدق تجاه هذا الرجل الذي لا يخذلهم، بل يتفنن في إسعادهم، ولعل أهم ما يتميز به «الفخراني» أنك تشعر أنه يتصرف كالكيميائي الذي يصنع معادلة مقاديرها دقيقة ومحددة، ولا يعرف سر خلطتها سواه، تمامًا مثلما فعل في فيلم «الكيف».

ما فعله «الفخراني» تجب دراسته وتدريسه للأجيال الصاعدة في كل المجالات ليدركوا أنه القمة يمكن أن تصعد إليها في أي توقيت، بل يمكن أن تصبح رقم واحد بلا منازع ما دمت تجتهد طوال الوقت، ولا تتعجل الحصاد؛ لأنه سيأتي حتمًا إن آجلًا أم عاجلًا، واسألوا «يحيى الفخراني» ذلك النجم الذي لم يشغله يومًا أن يصبح الأعلى أجرًا، أو الأقوى نفوذًا، أو الأكثر جماهيرية؛ لأنه يبحث عن سعادته، ويذهب إليها دون حسابات، ربما لذلك حصد الثلاثة: الأجر، والنفوذ «الفني»، ومحبة الجماهير.

سعاد

هي الفن حين يهبط وحيُه على شخص واحد فيستأثر به لنفسه!

هي عرض متكامل.. هي البطلة، وأمها، وأختها، وابنتها، وصديقتها، وأستاذتها، وتلميذتها في آن واحد.

عاشت طيلة حياتها الفنية بسيطة في عمقها، وعميقة في بساطتها، يمكن أن تفعل أي شيء، وكل شيء، وتقنعك بالشيء ونقيضه، يمكن أن تبدو في الخمسين من عمرها، وفي ذات المشهد الوقت تبرع وهي تؤدي دور مراهقة صغيرة، ويمكن أن تظهر في صورة الطاغية والطائعة، والعالمة والعاملة، والمفكرة والمفجرة، وجمعت كل المواهب الفنية ببساطة تُحسد عليها، وبعمق يستحيل تكراره.

هكذا عرفنا السندريلا «سعاد حسني» التي وُلدت في حي بولاق بالقاهرة، ووالدها كان يعمل خطاطًا، بينما كان جدها مطربًا معروفًا في سوريا، وكان لها ستة عشر أخًا وأختًا، وترتيبها العاشر بين أخواتها، ولم تذهب سعاد إلى مدارس نظامية، واقتصر تعليمها على البيت.

لكن أول من اكتشف موهبتها كان الشاعر عبد الرحمن الخميسي، ثم ضمها «هنري بركات» لفيلم «حسن ونعيمة»، وحينها شاهدها صلاح جاهين لأول مرة ورأى أنها ستصير نجمة كبيرة، وقد تأكد لديه هذا الشعور حين اصطحب أولاده عام 1965، لمشاهدة فيلم «شباب مجنون جدًّا» ويومها قال لابنه بهاء: «البنت دي هتبقى أحسن ممثلة في مصر».

ونشأت علاقة فنية بينهما، وكانت تستشيره في أغلب أعمالها، وعندما قرر إنتاج فيلمه الأول «خلي بالك من زوزو» قرر أن تكون هي بطلة الفيلم، ثم اشتركا معًا في فيلم «أميرة حبي أنا» ثم «شفيقة ومتولي» الذي كان آخر عمل جمع بينهما.

والطريف أن «سعاد» في أحد الأيام كانت في زيارة إلى صلاح جاهين، ووجدت صورة «نيللي» مُعلقة على جدران مكتبه، فأصرت في المرة التالية أن تُحضر صورتها وتضعها على جدران مكتبه مثلما فعلت «نيللي»!

لم تقتصر نجاحات «سعاد» على «صلاح» فقد تعددت أعمالها، وشاركت في أفلام خالدة في ذاكرة السينما ومنها: «الزوجة الثانية» و«غروب وشروق» و«الكرنك» و«أين عقلي» و«موعد على العشاء» و«حب في الزنزانة»، تلك الأعمال وغيرها جعلت سعاد تجلس أعلى قمة جبل النجومية، وتصبح الرقم الأصعب في تاريخ السينما، فلا يمكن أن يقال أفضل ممثلة في تاريخ مصر ولا يُذكر اسمها، ولا يمكن حصر أهم أفلام في تاريخ الفن العربى دون أفلامها.

لكن رغم ضحكاتها العالية التي كان يتردد صداها في كل مكان فإنها مثل أغلب صناع البهجة مقابل كل ضحكة تفرقع على لسانها كانت تفرقع مأساة داخل أحشائها، ومقابل كل ابتسامة ارتسمت على شفتيها انحدرت دمعة داخل قلبها - مثلما يصف السعدني حال المضحكين - فبعد المجد والشهرة والنجومية، وعند أول إخفاق لها لم تتحمل، وذهبت لتعيش في لندن.

وهناك سجلت رباعيات صلاح جاهين بصوتها لتأنس بها في عاصمة الثلج والضباب، وهناك فارقت الحياة بنهاية درامية، ليظل رحيلها أسطورة عصية على الفهم مثلما كانت حياتها.



الحالم

«ربما كانت بعض الشخصيات من الخيال.. لكن الأماكن من الواقع».

هذه العبارة كانت هي مفتتح فيلم «خرج ولم يعد» وهي تلخّص قدرات محمد خان الفنية، فهو قادر على إدهاشك، وإمتاعك، وإسعادك، وإثارة عقلك، وجعلك تتساءل كيف التقط هذه الصورة البديعة من ذلك الواقع الكئيب؟ هل هذا واقع أم خيال؟ هل هذه الأماكن في مصر فعلًا؟ كيف يجعل الخيال واقعًا والواقع أقرب إلى الخيال؟!

فإذا كان أدب أمريكا اللاتينية يعتمد على ما يُسمى «الواقعية السحرية»، فإن «محمد خان» أبدع نظرية جديدة وهي «الواقع ساحرًا»، فالواقع عند «خان» مختلف لكنه ليس مختلقًا، وجاذب لكنه ليس كاذبًا، لا تمنع جديته وصرامته

من تأمله والسباحة في أعماقه، والاستمتاع بمباهجه، والنظر إلى مواطن جماله، والبحث عن عناصره الخلابة.

وُلد «خان» في 23 فبراير عام 1942، لأب باكستاني وأم مصرية، وتعرف على السينما من شرفة منزله المُطل على واحدة من دُور السينما المكشوفة، ووقع في غرام ذلك العالم من النظرة الأولى، وكان يرى المقاعد ولا يرى الشاشة، ويذهب ليشاهد الفيلم في اليوم الأول لعرضه، ويتابع الصوت بتركيز بقية الأيام، ويجمع إعلانات الأفلام من الصحف، ويشتري صور الأفلام؛ لكن أسرته حاولت أن تصرفه عنها، وتصرفها عنه، فأرسلته إلى بريطانيا لدراسة الهندسة المعمارية.

لكن حلم السينما كان أكبر من محاولات العائلة، فحين استقر في عاصمة الضباب، التقى شابًا سويسريًا يدرس السينما، وصارا صديقين، فترك «خان» الهندسة وذهب معه إلى معهد السينما في لندن، وظل هناك لسبع سنوات شاهد خلالها عددًا هائلًا من الأفلام العالمية من مختلف الجنسيات، وتابع أعمال عمالقة الإخراج السينمائي في العالم، ثم عاد بعدها إلى مصر، والتقى المخرج صلاح أبو سيف، وعمل تحت إدارته في الشركة العامة للإنتاج السينمائي وذلك في قسم

القراءة والسيناريو، لكنه لم يستمر معه طويلًا، فبعد عام واحد فقط سافر إلى بيروت ليعمل مساعدًا مع عدد من المخرجين اللبنانيين.

وفجأة وقعت النكسة، فعاد «خان» إلى لندن، ومكث هناك 10 سنوات كاملة ليعود بعدها إلى مصر، وتبدأ رحلته السينمائية بفيلم «ضربة شمس» الذي قام ببطولته وأنتجه الفنان «نور الشريف»، وبعد ثلاث سنوات توالت الأعمال من «طائر على الطريق» إلى «الحريف» مرورًا بـ«خرج ولم يعد» ثم «زوجة رجل مهم» و«أحلام هند وكاميليا» و«أيام السادات» و«في شقة مصر الجديدة» وغيرها من الأعمال التي حفرت تاريخًا ناصعًا في جدران السينما المصرية.

ما يميز «خان» هي قدرته على صناعة صورة بديعة لكنها ليست مبتدعة، تبدو خيالية لكنها غير متخيّلة، هذا بجانب مهارته وبراعته في كتابة القصة والسيناريو، ولعل المثال الواضح على ذلك أنه شارك بكتابة القصة والسيناريو لفيلم «سواق الأتوبيس» الذي أخرجه عاطف الطيب، واللافت أن ظهوره في بعض الأفلام أضفى عليها سكينته.

اتخذ «خان» لنفسه مكانًا يشبه أفلامه حيث البراح، والخضرة، والماء، والوجه الحسن وطاقة الحب، والعطاء، والصفاء، والمرح، واللعب، والصورة التي تسكن القلب.



الصارم

كان الطفل يبكي لوالده في كل ليلة، ويُلحّ عليه أن يذهب به إلى المسرح ليرى نجمه المفضل في مسرحيته الجديدة، وبعد إلحاح شديد استجاب الأب لابنه، وذهب به إلى المسرح وجعله يرى «محمد صبحي» وهو يقف على خشبة المسرح، بل والتقاه وجهًا لوجه وأحبه «صبحي» وقرّبه إليه، وبعد سنوات اكتشف موهبته وجعله يشارك معه بدور صغير في مسرحيته الجديدة؛ لكن المدهش أنه بعد سنوات طويلة صار هذا الطفل نجمًا لامعًا يُدعى «هاني رمزي»!

هذه قيمة «صبحي» الحقيقية، فهو المُعلم لأجيال من الفنانين، وكذلك لأجيال من المشاهدين أيضًا!

فهو أستاذ بحق ويملك قاعدة كبيرة من التلاميذ الذي تخرجوا في مدرسته، وتعلموا على يديه، لكنهم حين اشتد عودهم، ولمعت موهبتهم تركوه وذهبوا، ولم يعد أحد منهم إليه، ولم يبقَ معه إلا من ضاقت عليه الحياة الفنية، وصار أسيرًا لمدرسة واحدة ونمط واحد ورؤية ثابتة.

فقد تلبست «صبحي» روح المُعلم الصارم المحافظ على التقاليد والقواعد الثابتة، والمكتفي بتوالي الأجيال من حوله، بل إنه من كثرة وقوفه ثابتًا تغير الزمن وتجاوزه وتجاوز مدرسته.

فقد وُلد «محمد صبحي» في القاهرة في مارس من عام 1948، ونشأ في منطقة تدعى «أرض شريف» بالقرب من شارع «محمد علي» الذي كان يعجّ بالملاهي الليلية والمسارح ودُور السينما، وكان منزل أسرته يقع أمام دارين شهيرتين للسينما، وكانت هذه فرصة جيدة للطفل الصغير ليتابع جميع الأفلام التي تُعرض بهما، كما كان والده يمتلك ماكينة لعرض الأفلام، ويشاهد من خلالها عروض الباليه الراقصة، فتعلق «محمد» بحب السينما وحين كبر ذهب إلى المعهد العالي للفنون المسرحية قسم التمثيل والإخراج.

وفي عام 1968 بدأ صبحي العمل في أدوار صغيرة مع عدد من كبار الفنانين أمثال فؤاد المهندس وعبد المنعم مدبولي ومحمود المليجي، وغيرهم، وفي الوقت



ذاته تفوق في دراسته، وتخرج في المعهد بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف عام 1971 ثم صار معيدًا بالمعهد، لكنه ترك التدريس، وأسس «استديو» بصحبة صديقه ورفيق كفاحه الكاتب المسرحي «لينين الرملي» وحققا نجاحًا هائلًا، وقدما عروضًا فنية راقية ورائعة تجمع بين خفة الظل وعمق التجربة، ومن بين العروض التي قدماها في تلك الفترة «الجوكر»، و«أنت حر»، و«الهمجى»، و«البغبغان» علاوة على مسرحيته الأجمل «تخاريف» التي أطلق فيها سؤاله الخالد: «هل أنت من المؤيدين لي ولحكمي ولحكومتي أم أنت لا قدّر الله من المعارضين؟» لكن رغم مرور سنوات طويلة على تلك العبارة فإن صداها ما زال يتردد حولنا في كل مكان!

لكن المدهش أن صبحي نفسه ليس ديموقراطيًا، ربما يؤمن فقط بـ«ديموقراطية الاتفاق.. ديكتاتورية التنفيذ» وربما هذا ما جعله يحافظ ويحتفظ بفريق عمله لسنوات طويلة، فمَن يتألق يخرج عن عباءته ولا يعود للعمل معه مرة أخرى.

«صبحي» يدير بعقلية قائد عسكري يحافظ على وزنه ورشاقته، ويرى لنفسه مكانة أكبر من ممثل، فحين شعر أن الفن وحده لا يحقق طموحاته نزل إلى الناس مباشرة وحاول تغيير سلوكياتهم بالنصح المباشر، بل حاول أن يقيم

مشروعات تغيّر حياتهم، فهو مخلص لأفكاره حتى لو اختلفنا معها وعليها، فقد رفض الوزارة حين عُرضت عليه؛ لكنه انغمس في العمل الاجتماعي، ربما تلبسته شخصية «ونيس»، وحاول أن ينزل بها إلى أرض الواقع.

لكن الواقع نفسه تغير و«ونيس» ظل ثابتًا، فلم يكن متجددًا، فهو يعيد إنتاج ما أنتجه من قبل، ويقدم نفس النصائح بذات الطريقة التي نجح بها من قبل، لكنه لم يدرك أن ما يُضحك الناس بالأمس ليس شرطًا أن يضحكهم اليوم، وما كان يؤثر فيهم قبل سنوات، قد لا يلقى أي صدى حين يُعاد إنتاجه عليهم اليوم.

ربما طبيعة العصر، وسرعته الفائقة أنتجت نجاحات سريعة، وإخفاقات أسرع، وبالتالي لم يعد هناك مكان لمن يقف مكانه، لكن في الوقت نفسه سيظل محمد صبحي واحدًا ممن نحتفظ بهم في حقيبة الذكريات الجميلة حين نريد استعادة زمن مضى، وقيم اختفت.



سعيد أحيانًا

في حياة كل واحد منا «سعيد صالح» البني آدم الجدع والرجل الحقيقي وابن البلد الشهم و«الصايع اللي طالع عينه وبيعافر في الدنيا»، فهو يعيش حياته كواحد من البسطاء يسير في الشارع على قدميه ويجلس على المقهى ويقول رأيه في أي شيء، وكل شيء، ولا يخشى غضب أحد.

بدأ حياته كممثل في مسرح التليفزيون عندما قدمه الفنان حسن يوسف بعد أن تخرج في كلية الآداب عام 1960 في الوقت الذي كان فيه عبد المنعم مدبولي صاحب الشعبية الطاغية، ولا ينافسه على لقب نجم المسرح الأول سوى فؤاد المهندس في هذا التوقيت.

شارك سعيد صالح مدبولي بطولة مسرحية «هاللو شلبي» التي شهدت



أول ظهور لأحمد زكي، ليصعد سلم النجومية قبل صديق كفاحه عادل إمام.

واستمر في رحلة صعوده نحو القمة حتى بلغ ذروتها في مسرحية «مدرسة المشاغبين»، وعشق المسرح لدرجة التقديس واعتبره صانع الممثل الحقيقي بخلاف السينما التي بها مؤثرات كثيرة تصنع الممثل، لكن على خشبة المسرح تكشف حقيقة الممثل وقدراته، وتنشأ محبة خالصة بينه وبين الجمهور؛ لأن ممثل المسرح لا يكسب أموالًا، وإنما يكسب جمهورًا.

أجمل ما في سعيد صالح كمضحك أنه يصنع «الإفيه» من لا شيء، وكلماته مصكوك عليها اسمه، ولا يمكن أن تضحك إذا قالها غيره، فالعبرة ليست في الكلمات، وإنما في الأداء، والدليل سيل الإفيهات التي ما زالت عالقة في ذاكرتنا مثل «مرسي ابن الزناتي انهزم يا رجالة» و«تذكرتيين» و«رمضان أبو سرة» و«شوفت على مستوى نظري - أيام ما كان عندي نظر - رُكب بني آدم»!

لم يعش «سعيد» في جزيرة منعزلة عن الناس بل دائمًا تجده بينهم ويحمل نفس صفات البسطاء حتى في أخطائهم، فهو يهوى الخروج عن النص في الكثير من مسرحياته فهو أجرأ من أن يقول «ما يمليه عليه النص» بل يقول فقط ما يمليه عليه ضميره حتى لو كان مصيره السجن!

وقد فعلها عام 1983 حين خرج عن النص وهو يقف على خشبة المسرح



وقال: «أمي اتجوزت 3 مرات.. الأول وكّلنا المش، والتاني علّمنا الغش، والتالت لا بيهشّ ولا بينشّ».

وكان يقصد «عبد الناصر والسادات ومبارك» وفهمها الرقيب الجالس في مقاعد الجمهور، فصدر الحكم بحبسه ستة أشهر.

ورغم ذلك حين سألوه: هل ندمت على ما فعلت؟ هل تعلمت الدرس؟

فأجاب: «أنا مش سياسي.. أنا بس بحب بلدي، ولا أتصور أني خسرت شيئًا عندما عبّرت عن رأيي، بل كسبت سعيد صالح».



الهلّاس

المفارقة هي سلاح سمير.

سيدة ضخمة تسد الأفق، وعجوز قصير لا يصل إلى ركبتيها، وشاب طويل جدًّا وفتاة قصيرة للغاية، ورجل أصلع وبدين وفتاة فاتنة تحبه، ودجاجة صغيرة، وقفص كبير، وبنطلون قصير، وجاكيت طويل، وعصا رفيعة، وإناء ضخم...

هكذا يُضحكنا الكوميديان سمير غانم الذي لم يُضبط يومًا يتحدث في السياسة، ولم يستطع أحد أن يرسم الحزن على وجهه، ويبحث عن الضحك ويلهث خلفه، ويتمنى أن يعيش في مدينة للسعداء فقط.

هو فنان يكره العبوس والعابسين، والنكد وصُناعه، والحزن وأسبابه،



والألم وأوجاعه، ووهب حياته للقضاء على هذه الأمراض، ويمكن أن يصنع من المأساة ملهاة، ومن سرادق العزاء مهرجانًا للضحك.

وحين سُئل سمير غانم: كيف تُضحك الناس؟، فأجاب: لا أكتفي بالإفيه وحده، لكن أقوم بتجهيز أدوات تناسب الشخصية التي أؤديها، وحين يضحك الناس وتملأ ضحكاتهم أرجاء المسرح أتوقف عن إلقاء الإفيهات وأتحدث بجدية، وحين يهدأ الجمهور ويشاهد في صمت أعود مرة أخرى لإضحاكه.. فالضحك يجب أن يتم توزيعه على العرض بأكمله حتى لا يمل الناس.. فأعلى الضحكات تأتي حين لا تتوقعها.

تخرج «سمير» في كلية الزراعة جامعة الإسكندرية، ثم التقى مع صديقيه جورج سيدهم والضيف أحمد، وكون معهم فرقة «ثلاثي أضواء المسرح» لكن الفرقة انحلت بعد ثلاث سنوات فقط من تأسيسها حين رحل «الضيف».

وفي الثمانينيات لمع نجم «سمير» في سماء الفوازير، فقدم سلسلة من فوازير رمضان تحت اسم شخصيتي «فطوطة» و«سمورة»، واتجه مع «جورج» للعمل في عدة مسرحيات أشهرها «المتزوجون»، وآخرها مسرحية «أهلًا يا دكتور» التي التقى من خلالها رفيقة دربه «دلال عبد العزيز» وتزوجا وأنجبا ابنتين هما «دنيا» و«إيمي» وكلتاهما صارت فنانة لامعة.

لكن «إيمى» كانت أقرب إلى والدها، فقد حملت جيناته الفنية، فهي لا تريد أن تتحدث بجدية مطلقًا، ولا تشعر أنها نجمة أو حتى أنها كوميديانة فهي بسيطة لا تجتهد كي تنتزع الضحكات، وكذلك أبوها فهو لا يحتاج إلى أن يقول شيئًا كي تضحك، فحركة بسيطة بيديه أو بشفتيه أو بقدميه يمكن أن تجعلك تسقط على الأرض من الضحك، يكفي أنه صنع لـ«الهلس» تاريخًا من خلال أفلام المقاولات!

فأنت لا تحتاج إلى جهد لتعرف أن أغلب الأفلام التي شارك في بطولتها هو من اختار أسماءها، فلا يمكن أن يسمي أحد فيلمًا «تجيبها كده.. تجيلها كده.. هي كده»، ولا تتخيل أن يكون اسم فيلم هو «عضة كلب»، إلا إذا شارك فيه سمير غانم، فهو لا يحتاج إلى سيناريو أو حوار أو مخرج كي يجعلك تضحك، بالطبع هذه أدوات مهمة ورئيسية وأساسية لأي عمل فني، لكن قدرات «سمير» على إضحاك الجمهور تفوق المنطق.

لكن ميزة «سمير» أنه صادق في ما يفعله، ولا يدّعي أنه يقدم عملًا عظيمًا بقدر ما يعدك أنه يقدم ضحكًا للضحك، ولعل أبرز دليل على ذلك حين سألته إسعاد يونس: هل تذكر الأفلام التي قدمناها معًا؟

فأجابها: طبعًا فاكر.. كنا بنعمل الفيلم في أسبوع.

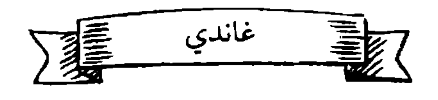


فضحكت «إسعاد» وقالت له: «لا يا سمير.. إحنا كنا بنعمل الأفلام في أسبوعين وثلاثة».. فرد عليها ساخرًا: «لا ده كان في الأفلام اللى عايزين ناخد فيها جوايز»!



الفصل الرابع

إذا توافقتْ أفكارك مع أفعالك فإن تلك هي السعادة الحقيقية.



الاستثنائي!

«ما دام فينا رجل له كل هذه اللماحية والذكاء والوعي والعبث والمرح والقدرة على التلخيص والتواصل، وما دام قادرًا على إبداع رسوم كهذه، فلا بد أن الحياة ما زال فيها ما يستحق أن نعيشه»!

هكذا كان عمنا «صلاح جاهين» مثلما وصفه عمنا «محيي الدين اللباد».

جاهين كان رقمًا قياسيًا في كل شيء، في الكاريكاتير، والشعر، والسيناريو، والمقال، والكتابة الساخرة، وصناعة الأفلام، علاوة على قدرته الخارقة في اكتشاف المواهب أو تلميعهم وتغيير مسارهم، وجعلهم يتصدرون المشهد.

رغم قدرات جاهين الاستثنائية في صناعة الابتسامة على وجوه الناس فإنه أيضًا كان بمثابة الملهم، فقد كان الشاعر الكبير أمل دنقل في رحلة مرضه لا يتناول الدواء إلا وهو يسمع «رباعيات جاهين».

كان «جاهين» يؤمن بأن الفنان يجب أن لا يكرر نفسه، وأنه إذا برع في شيء يجب عليه أن ينتقل إلى شيء آخر يجرب فيه قدراته ويترك تجاربه الأولى للآخرين يقلدونها.

لذلك سلك كل الطرق وعبر كل الحواجز فعمل في التمثيل في العديد من الأفلام المهمة منها: «اللص والكلاب» و«المماليك» و«شهيدة الحب الإلهي» و«لا وقت للحب» هذا بجانب عمله معالجة لمسلسل «هو وهي» وكتاباته للفوازير والاستعراضات وأغاني الأفلام والسيناريو والحوار لأفلام: «خلي بالك من زوزو» و«أميرة حبي أنا» و«المتوحشة» الذي كان آخر أعماله.

وبرع في كتابة السيناريو ليكتب لنا: «عودة الابن الضال» و«شفيقة ومتولي» الذي سبق فيه عصره وهو يقول لنا: «لما بلد تتعرض للبيع بجُملتها.. تتباع رعيتها بالقطاعي بالملاليم».

لكن جزءًا كبيرًا من شعبية جاهين جاء بسبب ارتباطه بعبد الحليم حافظ وكمال الطويل، فقد كانوا يلتقون في بداية شهر يونيو من كل عام لتحضير أغنية جديدة عن ثورة يوليو.

وظل الثلاثي على العهد حتى مرض والد «جاهين» بالسرطان، ولم يتحمل «صلاح» الخبر واختفى تمامًا وحاولت أسرته الوصول إليه دون جدوى لمدة

عشرة أيام، بعدها أقسمت «بهيجة» أخته أن «حليم هو اللي مخبيه».

فذهبت إلى بيته وقالت له: «عاوزين صلاح ضروري، أبوه تعبان ومحتاج يشوفه وانت مخبيه عندك»، فقال حليم: «والله هو ما عندي ولا حتى شفته.. ادخلي دوّري عليه، وعمومًا أنا هجيبه لحد عندك».

وبالفعل أحضره في اليوم التالي بعد أن نشر إعلانًا في «الأهرام» يقول فيه «ارجع يا صلاح.. أهلك بيدوروا عليك».

فعاد جاهين لبيته على الفور وعرفوا أنه كان في الإسكندرية لأنه كان لا يتحمل أن يرى أحدًا من أقاربه مريضًا، فما بالك بوالده.

لكن ظل «سيد مكاوي» أقرب الأصدقاء إلى قلب «جاهين»، فقد كان يقضي أغلب وقته بصحبته خصوصًا قبل زواجه في أثناء تحضيرهما لـ«الليلة الكبيرة» التي جاءت فكرتها في أثناء زيارتهما المتكررة لمولد السيدة زينب الذي كانا يحرصان على الذهاب إليه.

فقد كان جاهين يصف علاقته بمكاوي بـ«العسل والطحينة» فكانا يذهبان إلى الموالد في كل مكان وعلى رأسها مولد «السيدة زينب»، ويجلسان معًا بالساعات الطويلة في شقة جاهين بميدان لاظوغلي لتجهيز الليلة الكبيرة، والمدهش أن هذا العمل كتبه «جاهين» وعمره 27 سنة، لذا كان يرى أنه

خرج أفضل مما توقع وعاش أكثر مما خطط؛ لأنه عندما فكر في عملها لم يكن يشغله أن يأتي بعمل غير مسبوق بقدر ما كان يريد أن يقتل إحساسه بالخوف والغربة، ذلك الإحساس الذي كان يتملكه إزاء القاهرة بعد أن عاش متنقلًا بين المحافظات مع أسرته.

ولكن من أطرف ما جرى في لقاءاته مع «مكاوي» حين كانا يجلسان ويضحكان ويسخران من طوب الأرض، فألّفا ولحنا الأغنية الشهيرة: «يا صهبجية».

لذا حين سُئل: لو هتعيش في جزيرة لوحدك ومسموح لك تاخد شخص واحد معاك.. تاخد مين؟ قال: سيد مكاوي.



الصوفي

حين حصل الممثل العالمي «ليونارد ديكابريو» على جائزة الأوسكار بعد محاولات عديدة، وعناء كبير، وجهد جبار، اقترح البعض أن يتم تحويل «ليو» من اسم إلى فعل ويتم إضافته إلى قاموس «أكسفورد»، ليصبح اسم «ليو» يعني: النجاح بعد أكثر من محاولة، وذلك تكريمًا لاسم ليونارد واحترامًا لجهده المتواصل.

ربما لو لدينا نفس القياس في مصر ولدينا رؤية لتطوير المعجم وفق مقتضيات العصر، وتكريم أسماء أفنت عمرها ولم تحصل على التقدير اللائق، فأظن أنه ينبغي تحويل «حجازي» من اسم إلى فعل وإضافته لمعاجم اللغة العربية، ليصبح اسم «حجازي» يعني: ذلك الشخص الذي بذل عمره مخلصًا لأفكاره ومبادئه ولم ينتظر المقابل، وذلك تكريمًا لاسم الفنان المبدع أحمد حجازي.

وُلد «أحمد إبراهيم حجازي» في الإسكندرية عام 1936، لكنه تلقى تعليمه في مدينة طنطا، وبمجرد أن التحق بكلية الفنون الجميلة حزم حقائبه، وترك خلفه رسالة قصيرة لأسرته تقول: «لا أستطيع أن أستمر عبئًا عليكم، وأريد أن أتحمل مسؤولية نفسي»، أراد «أحمد» أن لا يكون ثقيلًا على والده سائق القطار الذي تحمل كثيرًا حتى يذهب نجله إلى الجامعة.

ورحل «حجازي» إلى القاهرة ليعمل رسامًا في مؤسسة «روزاليوسف»، بصحبة عدد من كبار نجوم الصحافة والثقافة والكاريكاتير، فقد كانت «روزا» وشقيقتها الصغيرة «صباح الخير» قِبلة المبدعين، ومن بينهم صلاح جاهين، وجورج بهجوري، ورجائي، وهبة عنايت، ومصطفى محمود، ومحمود السعدني وغيرهم.

ولمع «حجازي» في فترة وجيزة، وصارت خطوطه بمثابة «ماركة» مسجلة باسمه، وعندما انتقل «أحمد بهاء الدين» من «صباح الخير» إلى «الهلال» اصطحب معه «أحمد حجازي» ليرسم مجلة «سمير» التي تصدرها الدار، فأحدث «حجازي» نقلة هائلة في رسوم الأطفال فبعد أن كانت الرسوم أجنبية، والنصوص مترجمة، صارت الرسوم بتعليقاتها مصرية خالصة، وكانت فكرة حجازي من البداية أن يكون المواطن على وعي ودراية بما يحدث حوله

في المجتمع، والطفل مواطن صغير يتصور أنه يعرف كل شيء بما في ذلك السياسة.

السياسة بالنسبة لـ«حجازي» لم تكن سدة الحكم بقدر ما كانت إرادة الشعب ووعيه وقدرته على اتخاذ القرار، لذا ابتكر «تنابلة السلطان» وغيّر معادلة صناعة الكاريكاتير، فبعد أن كان الكاريكاتير الاجتماعي هو السائد، والمبالغة في الرسوم هي الأكثر جذبًا، اعتمد «حجازي» على النقد اللاذع، والقارئ الألمعي، الذي يقرأ ما بين السطور، ويفهم المغزى العميق للرسوم تلمحيًا لا تصريحًا.

لكن عقب النكسة تغيرت رسوم «حجازي» وصارت أكثر حدةً وميلًا إلى الحزن، وزادت حدة نقده للأوضاع خصوصًا بعد أن جاء الرئيس السادات وسادت المجتمع قيم جديدة وغريبة عقب سياسة الانفتاح الاقتصادي، فسخر منها «حجازي» وبدت شخصياته مصابة بالفصام ـ مثلما يصفها الكاتب محمد البغدادي ـ ومزدحمة بالمتناقضات ما بين القيم النبيلة والفساد وما بين العدوّ الذي أصبح صديقًا، لتطرح أسئلة غاية في الأهمية عن الانفتاح والانغلاق، والشرف والعار.

وعن تلك الفترة يقول حجازي: لقد تغيرت حسبة الكاريكاتير، ولم تعد



هناك رموز تعبر عن مفردات اجتماعية واضحة، بعد أن تغير الواقع الاجتماعي، فقديمًا كانت الطبلية، ومصباح الكيروسين يعبّران عن الفقر، أما الآن فتجد الشريحة الاجتماعية نفسها تملك جهاز فيديو وأبناءها يشربون الـ«سفن أب»، وعندما ترسم هذه الصورة كيف تقول إنهم فقراء؟ بينما هم فقراء فعلًا.

تغيرات الواقع جعلت «حجازي» يشعر بالإحباط، ويرى أن الفن لم يفعل شيئًا، وأن الأوضاع ساءت، والمساوئ زادت، ولم يعد هناك أمل في تغيير حقيقي فاتخذ قراره بالعزلة الاختيارية في بيته بالمنيل، وانقطع عن الرسم، وهو في قمة نجوميته ونضجه الفني، ورفض كل محاولات إثنائه عن القرار، ربما أراد أن ينفرد بنفسه ويراجع أحلامه ويتألم في صمت، وينفعل في هدوء، ويصرخ في أعماقه.

وبعد فترة اتخذ قرارًا آخر، وهو أن يترك القاهرة وصخبها وضجيجها وشهرتها وأضوائها اللامعة وزحامها والصحف التي تلهث خلف رسوماته، ويعود إلى «طنطا»، وفضل أن يعيش ما تبقى من عمره زاهدًا، فلم يحصل على جنيه واحد نظير تركه لشقته في المنيل، ولم يسعَ لأن يحصل على أموال نظير رسوماته التي كان يرسلها لصحف المعارضة، ولمجلات الأطفال واكتفى بأن يرسم وقتما يحب لمن يريد.

اللاعب بالفرشاة

إذا أردت أن تعرف قدر الحرية المتاحة في أي بلد فلا تقرأ استطلاعات الرأي، ولا تتابع النقاشات والمساجلات، ولا تشاهد برامج التوك شو.. انظر فقط إلى رسومات الكاريكاتير لتعرف بدقة قدر الحرية التي يتمتع بها الشعب.

الكاريكاتير أصدق مرآة للحريات لأنه الدليل المادي على وجودها؛ فالسلطة القمعية تهتز لرسمة على ورقة أكثر من مظاهرة في الشارع، وتغضب من الإيحاء أكثر من التصريح، ويُزعجها النقد الذكي أكثر من الهجوم المباشر.

وهذه مهارة الفنان «عمرو سليم»، فهو يلعب بالفرشاة، مثلما كان يتلاعب «حازم إمام» بالمدافعين، لكن أكثر ما يميز «عمرو» هو حلمه، فالحلم هو السمة المميزة لعمرو سليم، فمن يحبه في الحلم يقترب منه في الواقع، ومن يزعجه في

الحلم يسخر منه في الواقع، فحلمه يحركه ويصنع رسوماته لدرجة أنني أشك أنه في كل ليلة يزوره في المنام مَن يرسمه في الواقع في اليوم التالي.

وقد تأكدت من ذلك حين التقيت الفنان «عمرو سليم» وتحدثت معه عن كاريكاتير بديع رسمه عقب الثورة مباشرة، وكان يسخر فيه من عدم إلقاء القبض على الثلاثي صفوت الشريف وفتحي سرور وزكريا عزمي.. وسألته: ما الذي أوحى إليك بفكرة هذا الكاريكاتير المدهش؟

فأجابني: صلاح جاهين زارني في المنام وقال لي «افضحهم يا عمرو»!

ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي زاره فيها «جاهين»، فقد زاره من قبل، واستجاب له أيضًا، رغم أنه لم يرَ صلاح جاهين سوى مرة واحدة في حياته حين وقعت عيناه عليه في إشارة مرور حيث كان يجلس في السيارة المجاورة.

فـ«عمرو» فنان مرهف الحس، نقي، متواضع، يدخل قلبك بلا استئذان، يمكن أن تختلف معه وتخالفه الرأي لكن لا تستطيع أن تمنع نفسك من الاستمتاع برسوماته، فهو يتكلم في صمت، وصمته مليء بالكلام، ويتحدث إلى الورق عبر الفرشاة، ورغم ثقته بموهبته فإن الغرور لم يمس قلبه، فهو هادئ الطباع يتحرك بسكينة، ولا يحاول أن يرتدي ثوب البطولة، فلا تشعر أنه يبذل جهدًا في رسوماته، فما دامت الفكرة حاضرة فالرسم جاهز للنشر.

تخرج «عمرو» في قسم الرسوم المتحركة التابع للمعهد العالي للسينما عام 1986، وبدأ حياته المهنية بالعمل في مجلة «روزاليوسف» عام 1988، ثم ما لبث أن أصبح رئيسًا لقسم الكاريكاتير ومساعدًا لرئيس تحرير المجلة، وعمل خلال هذه الفترة في عدد من المجلات والصحف المصرية والعربية، وفي عام 2005 انضم عمرو لجريدة «الدستور» وعمل فيها رسامًا ورئيسًا لقسم الكاريكاتير، وأيضًا مساعدًا لرئيس التحرير لمدة عام ونصف العام، شارك خلالها مع الأستاذ إبراهيم عيسى - رئيس تحرير «الدستور» آنذاك - في عودة الروح لفن الكاريكاتير، وضخ جيل جديد لإعادة الاعتبار لفن عظيم كاد ينقرض.

ثم التحق بـ«المصري اليوم» في نوفمبر من عام 2008، وانتقل بعدها إلى «الشروق» واستكمل رحلته مع صديقه «بلال فضل» بصفحتي «المعصرة» التي كانت بمثابة مدفعية ثقيلة في مواجهة حكم الإخوان، ثم عاد مرة أخرى لـ«المصرى اليوم»، وصار القراء لا يطالعون الجريدة إلا من صفحتها الأخيرة حيث نافذة «عمرو سليم» المُطلة على البهجة.

الكاريكاتير بالنسبة لـ«عمرو» ليس مجرد أنف طويل، ورأس كبير، وشارب



عريض، فعلى الرغم من أن الكاريكاتير عماده المبالغة، وعتاده التورية فإن قوامه الذكاء، وفي مصر وحدها قد لا يحتاج الرسام إلى المبالغة، فالواقع غالبًا ما يفوق ويتفوق على خيال كل رسامي الكاريكاتير!



الفضائي

«فجأة وجد نفسه يعيش على سطح كوكب بمفرده، لم تكن أمامه خيارات كثيرة، فإما أن يقاوم ويبقى حيًّا وإما أن يندب حظه حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة، لكنه اختار المقاومة والاستمتاع بالحياة والبحث عن سبل العيش فوق كوكب لا يوجد به كائن حي سواه، وبدأ في ضبط إيقاع حياته الجديدة، وخلق عالم فريد، واستعمر الكوكب المعادي للحياة، وزرع أرضه، وجعل الموسيقى تنتشر في أرجائه، بل واستطاع أن يجد طريقة للتواصل مع سكان كوكب الأرض عبر جهاز صغير، ويبلغهم أنه ما زال حيًّا، وظل متفائلًا، لم يقنط، ولم يجزع، ورغم قسوة التجربة فإنه جعل منها مصدر إلهام، وطاقة إبداع».

هذا ما فعله بطل الفيلم العالمي «المريخي»، وهو بالضبط ما يفعله «عمر طاهر» دائمًا!

لذا حين شاهدت الفيلم تذكرته باعتباره واحدًا من رواد الفضاء الذين يبحثون عن الجديد والمختلف والأكثر دهشة وبهجة وتفردًا، فهو يمتلك الكثير من سمات رائد الفضاء، فهو شجاع يبحث عن تغيير الذوق العام لكنه لا يعاديه، وانطوائي لكنه لا يستطيع العيش دون محبة الآخرين وآرائهم، ويصعد إلى المريخ بأفكاره لكنه يحلم أن تخدم سكان كوكب الأرض، وتُغير حياتهم.

كان يمكنه اختيار الطريق السهل الذي سبق تجربته، واختبره كثيرون، وعرفوا نتائجه، وأكدوا صلاحيته للسير والنجاح والشهرة والنجومية، لكن «عمر» لا يبحث عن هذه الأشياء فحسب وإنما يريد أن يبتكر مفاهيم جديدة لها، فهو يهوى السير في الطرق التي لم يمر بها أحد قبله، ويود أن يستكشف طريقًا جديدًا للنجاح، ويتمنى أن يكتب بلغة لا يكتب بها سواه، لكن شريطة أن تصل إلى قلوب الناس وعقولهم، فهو لا يكتب إلا إذا كان المسرح ممتلئًا، لكنه في الوقت نفسه يكتب لنفسه أولًا.

«عمر» بدأ حياته الصحفية بمجلة «نصف الدنيا» وسافر إلى العديد من الدول، وأصدر خمسة كتب، منها أربعة دواوين شعرية، ورواية قام بترجمتها لباولو كويلو، وذلك حتى عام 2005.

وبعد عام واحد أصدر كتابه الساخر الأول «شكلها باظت»، وحين ظهر الكتاب كانت سوق الكتب راكدة، وأسماء الكتاب الكبار وحدهم تتصدر واجهات المكتبات، وكان عدد الناشرين محدودًا، لكن الكتاب حرّك المياه الراكدة، وأحدث ثورة في شكل الكتاب، وخلق جمهورًا جديدًا وكبيرًا، وزاد حجم الجمهور في كتابه التالي «كابتن مصر»، وصنع «عمر» لنفسه جماهيرية خاصة، لكن أظن أن أكثر عمل بذل فيه «عمر» جهدًا كبيرًا هو سلسلة مقالاته عن «صنايعية مصر».

«عمر» فتح الباب خلفه لعدد كبير من الكتاب الساخرين، بعضهم نجح وواصل وبعضهم كان لا يدرك الفرق بين السخرية والكلام الفارغ، لكنه لم يكن وحده السبب في صناعة طوفان الكتابة الساخرة، فهناك آخرون، أبرزهم صديقه «بلال فضل» بمقالاته في جريدة «الدستور» حين كان الأستاذ «إبراهيم عيسي» رئيسًا لتحريرها، فقد جعلا -«بلال» و«عمر»- بنجاحها اللافت، البعض يظن -وبعض الظن إثم- أن الكتابة الساخرة سهلة وبسيطة ولا تحتاج إلى جهد أو علم أو لغة عربية!

ما فعله «عمر» هو بالضبط ما فعله العم «محمد عفيفي» حين فضّل أن يذهب بعيدًا عن الطريق الذي شقّه محمود السعدني وأحمد رجب وكلاهما كان

ملء السمع والبصر، لذا أظن أن «عفيفي» هو الأقرب إلى قلب «عمر»؛ لأن كلاهما أراد أن يصنع طريقًا مختلفًا، وقناة موازية، وسِكة جديدة، وقد كان لهما ما أرادا.

«عمر طاهر» يعشق التفاصيل، وأحيانًا يعيش من أجلها، ويدقق في ما يفعل، وينفعل بما يكتب، ويهوى الأضواء الخافتة، ونجوم الظل، فهو يحب من يشبهونه ويشبههم، ويكتب من أجلهم، وقد يهتم برأي طفل صغير ويتجاهل رأي كاتب كبير، فالمعيار لديه هو صدق الرأي وليس صاحبه!



الـ«باسم»

أظن أن أي شعب، إذا خُيّر بين الساخر والحاكم سيختار الساخر دون تردد إلا إذا كان من يُخيره هو الحاكم ذاته!

وصناع البهجة هم الثروة الحقيقة التي تملكها الشعوب في مواجهة أعباء الحياة، وأزماتها وكآبتها؛ لكن «ليس كل الضحك سرورًا» -مثلما يقول عالم النفس البريطاني وليم مكدوجل- فأحيانًا نضحك لأننا تعساء، والضحك يجعلنا نشعر بأننا في حال أفضل، أو كما نقول «شر البلية ما يُضحك».

وهذا بالضبط ما فعله الدكتور «باسم يوسف» حين صنع من المأساة ملهاة، ورسم البسمة على شفاه الملايين، واستطاع في وقت قياسي تغيير وجه البرامج الساخرة، وصناعة شعبية طاغية، فـ«باسم» ـ وما فعله وما يمثله ـ هو النتاج

الطبيعي للثورة، وهو في حد ذاته ثورة على القوالب الجامدة، والقواعد البالية، والتقاليد الرجعية، فالثورات تفرز المواهب الكبرى وتضعها في المقدمة.

فالطبيب «باسم يوسف» - الذي كان في طريقه للهجرة قبل شهور قليلة من الثورة - لم يخترع فن السخرية من الحاكم، بل سار على درب المضحكين العظام الذين ظهروا قبل مئات الأعوام في عصور الخلفاء الأمويين والعباسيين، وتهكموا على كل شيء، وعلى أي شخص؛ على كبار رجال الدولة، ورجال الدين، والفلاسفة، والمفكرين المختالين بفكرهم، وعلى أصحاب الحرف، وعلى كل القواعد والأعراف التي اعتقدوا أنها غير معقولة.

«باسم» كان لونًا جديدًا ومختلفًا ومخالفًا لما هو معروف ومتعارف عليه، فحاول كثيرون تقليده و«نحته» لكنهم فشلوا في ملء الفراغ الذي تركه، وأثبتت التجربة أنه لا ينافس باسم يوسف سوى نفسه، فقد حقَّق أرقامًا قياسية في نسبة المشاهدة لم يسبقه إليها أحد في تاريخ الإعلام المصري والعربي، وقد ساعدته لغته الإنجليزية واطلاعه على الثقافة الأمريكية في أن تتجاوز شعبيته الدول العربية، ويصبح عالميًا بحق.

لكن «باسم» يحتاج إلى مراجعة أدواته من وقت لآخر، ويقلل من استخدام الإيحاءات التي تجعله يسكن غرف الكبار فقط، ويعكف على قراءة تراث

الساخرين العظام الذين سبقوه ليظل محتفظًا بمكانته على القمة في قلوب محبيه لزمن بعيد حتى لو منعته السلطة وحاربته أبواقها.

وربما سر نجاح الدكتور «باسم يوسف» هو أنه لا يسخر من أحد، بل يترك أفعال الأشخاص وأحاديثهم تسخر منهم وتفضحهم وتكشفهم أمام الناس، وأمام أنفسهم، وهذا أجمل ما يفعله، لكنه أيضًا أخطر شيء عليه؛ لأن مَن يكشفهم يودون لو يختفي من الوجود، ويظنون أنه لا حل له سوى أن يختفي من الوجود الإنساني، واستنفدوا معه كل المحاولات لإسكاته، في البداية لجأ البعض إلى تكفيره، وبعدها لجأ البعض الآخر إلى المحكمة مطالبًا بسجنه وتغريمه، وتمنى البعض إضافة حد «قطع اللسان» إلى الحدود الشرعية ليتوقف عن الكلام إلى الأبد؛ لكن هؤلاء لا يدركون أن سلاح «باسم» الأول ليس لسانه، وإنما عقله.



أبو حفيظة

«السعادة» هي شعور بالبهجة والاستمتاع منصهرين معًا، و«أكرم حسني» رجل صنعتُه السعادة.

يمتلك موهبة خالصة، وقدرات خاصة، وذكاءً يُحسد عليه، وقبولًا يجعله يُضحك «طوب الأرض» دون جهد أو افتعال، لا يبحث عن بطولة، ولا يحاول ادّعاء ما ليس فيه، ولا يسعى لصدارة المشهد، بل يكتفي بأن يحمل إليك البهجة مجردة بمجرد أن تقع عينيك عليه، ورغم ذلك يبذل جهدًا كبيرًا كي يكون مختلفًا واستثنائيًا.

لذا ابتكر «أكرم» شخصية «أبو حفيظة» وصنع لها مجدًا وكاريزما خاصة وملامح جادة وصورة مغايرة، وقد استوحى هذه الشخصية من خلال عمله



كضابط، فهي خليط من عدد من الأنماط التي شاهدها وتعامل معها وفهمها.

وُلد «أكرم» بعد عام واحد فقط من نصر أكتوبر، في ذلك العام الذي تم فيه وقف إطلاق النار، وهو الابن الأوسط لوالد كان يعمل مهندسًا في «مصر للطيران»، وأم تفرغت لتربية أبنائها، وكونه الأوسط جعله يبذل جهدًا أكبر لإثبات ذاته، فذهب لكلية الشرطة وتخرج فيها وعمل ضابطًا لقرابة عشر سنوات ثم استقال، واتجه لدراسة الإعلام، وهو بالضبط ما فعله النجم سمير غانم لكنه اتجه للتمثيل.

كأن هذه الكلية تؤهل نجوم الكوميديا!

وهى صدفة ولكن يجب دراستها فكلاهما خريج تلك المدرسة التي تؤمن بأن إسعاد الناس هي الغاية، ولا شيء أجمل من رسم البسمة على وجوه الملايين.

لكن في الوقت ذاته يقدم فنًّا راقيًا، وكوميديا جادة، فالكوميديان الحقيقي ليس مهرّجًا، وإنما هو مفكر.

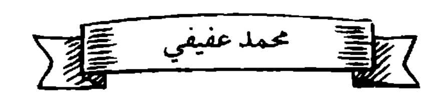
فهناك قصة تُروى عن رجل فرنسي ذهب إلى أحد الأطباء النفسيين، وهو في حالة من الكرب الشديد، وقال للطبيب: إنني أعاني من حالة مفزعة من التعاسة والاكتئاب، هل يمكنك أن تصف لي بعض الأقراص، أو أي شيء

يمكنه أن يساعدني في التغلب على هذه الحالة؟ فأجاب الطبيب النفسي قائلًا: أنت لا تحتاج إلى أقراص، اذهب وشاهد «جروك» المهرج الشهير، إنه سيبهجك ويجعلك تشعر بالتحسن، فأجاب الرجل التعس «يا دكتور.. أنا جروك»!



الفصل الخامس

السعادة تاج على رؤوس العزاب لا يراه إلا المتزوجون!



الظاهرة

في صيف 97 كانت مصر تعيش حالة من الحزن بعد أن ودّعت مصطفى أمين ومديحة كامل ومحمد عوض والكاتبة سهير القلماوي خلال أربعة أشهر فقط، وكان الملل متسيدًا والجمود السياسي والرياضي والفني مسيطرًا.

مبارك يدخل عامه السادس عشر في الحكم ولا بوادر لإصلاح.. والأهلي يحصل على الدوري للمرة الرابعة على التوالي دون منافس، والمنتخب يعيش واحدة من أسوأ فتراته، وأفيشات نادية الجندي تنتشر في الشوارع وتحتل واجهات السينمات باعتبارها نجمة الجماهير، ولا ينافسها على الإيرادات سوى عادل إمام.

في هذا التوقيت كان أحمد زكي يستعد لفيلمه الجديد «البطل» ويمنح مجموعة من المواهب الشابة الفرصة للظهور من بينهم محمد هنيدي.

كان «هنيدي» يبذل قصارى جهده لإثبات وجوده، فقد كان يذاكر الدور جيدًا، ويتقن الأداء، ويذهب مبكرًا، وينصرف متأخرًا، ويحاول أن يلفت النظر لعله ينطلق نحو الشهرة والنجومية؛ فالفرصة لا تأتي كثيرًا فما بالك بفرصة أمام أحمد زكي.

وفي وقت فراغه لا يمانع أن يشارك في فيلم آخر مجاملة لصديقه وفرصة يحصل منها على مبلغ من المال يعينه على الأيام؛ لكنه لم يشغل باله بشيء إلا بانتظار ظهور فيلم «البطل».

وكان الفيلم الثاني بمثابة «نحتاية» أو «سبوبة» يذهب إليها بروح مرحة ويؤديها بخفة ظل دون اكتراث لسيناريو أو حوار أو قواعد تمثيلية صارمة مثل التي يفرضها عليه العمل مع أحمد زكي.

وجاء موعد العرض، وظهر أولًا الفيلم الذي لم يكن «هنيدي» مهتمًا به، ولا مشغولًا بمشاهدته؛ لكن ظهوره أعلن نهاية حقبة وبداية عصر جديد بنجوم جدد، كان هذا الفيلم هو «إسماعيلية رايح جاي» بطولة محمد فؤاد ومعه خالد النبوي وحنان ترك ومحمد هنيدي ونجح وكسر تابوهات كثيرة وتجاوزت إيراداته ما كان يتوقعه أكثر الناس تفاؤلًا، وطغى نجاحه على كل الأفلام التي ظهرت قبله وبعده ـ في تلك المرحلة ـ بما فيها فيلم «البطل» ذاته!

ربما كانت مصر تريد أن تضحك، وتخرج عن المألوف، وتكسر حالة الملل، وتعيش أجواء المرح، وترى وجوهًا جديدة؛ لكن أحدًا لم يصدق ما جرى بمن فيهم «محمد هنيدي» الذي وجد نفسه بين ليلة وضحاها مشهورًا ومحاطًا بآلاف المعجبين في أحد أحياء الإسكندرية، بل كاد يلتقط أنفاسه الأخيرة وهم يحتفون به، ولولا تدخل الشرطة لما خرج سالمًا.

لم يكن هذا هو العمل الأول لـ«هنيدي» ولا حتى الثاني ولا الثالث فمنذ تخرجه في معهد السينما عام 1991 وقبل ذلك التاريخ وهو يشارك في أعمال سينمائية ودرامية لكنه لم يلفت النظر بدرجة تجعل المخرجين والمنتجين ينظرون إليه باعتباره يصلح لدور البطولة خصوصًا أن ملامحه لا تشي بذلك.

قصر قامة «هنيدي» وصلعة مقدمة رأسه لا تجعل منه «جان» يتصدر الأفيش؛ لكنه هدم كل تلك القواعد بخفة ظله وحضوره، وصنع مقاييس أخرى وفتح الباب لجيل كامل من الفنانين وقائمة طويلة من الممثلين كان هو طريقهم للشهرة والنجومية فهو يستحق أن يكون الراعي الرسمي لهذا الجيل الذي يضم أحمد السقا وهاني رمزي ومنى زكي وحنان ترك وغادة عادل وفتحي عبد الوهاب وطارق لطفي وغيرهم.

أفلام «هنيدي» التالية كانت أفضل وأجمل وأبقى وصنعت موجة جديدة

وخلقت مساحة هائلة لجيل جديد يملك مقومات مختلفة وخلطة غير تقليدية لكن مشكلة «هنيدي» الوحيدة أنه يقع أحيانًا أسيرًا لنجاحاته، فقد يكرر نفسه ليضمن البقاء في الصورة بينما ما حققه يجعله قادرًا على المجازفة واختيار أعمال تضيف إليه ما يستحق من بريق وتمنحنا البهجة التي ننتظرها بمجرد سماع اسم محمد هنيدي.



الخفيف

ثقيل الوزن، خفيف الظل، يملك موهبة كبيرة، وحظًا قليلًا.

حاول مرة واثنتين وثلاثًا، وفي كل مرة كانت الإجابة واحدة: «يا ابني أنت لا تصلح لأن تكون ممثلًا، وزنك ثقيل، وشكلك غير وسيم.. من فضلك ابحث عن عمل آخر».

كانت هذه الجملة التي أطلقتها في وجه الفنان «علاء ولي الدين» لجنة تحكيم معهد السينما كافية لإحباطه، وجعله ينصرف عن الفن إلى الأبد، وأن لا يسير في شارع يعلم أن به سينما، لكنه لم ييأس، ولم يقنط، وظل يكرر المحاولة، حتى تدخل والده ونصحه أن يجعل التمثيل مجرد هواية، وأن لا ينصرف عن دراسته الجامعية.

واستجاب «علاء» وتخرج في كلية التجارة، لكن لم ينصرف عن حلمه، فذهب إلى أكاديمية نور الدمرداش وتعلم التمثيل، ثم بدأ يظهر في بعض الأعمال على استحياء، وكان يمكن أن يكون تكرارًا لمسيرة والده «سمير ولي الدين» الذي كان يعمل مديرًا لملاهي القاهرة، وفي الوقت ذاته كان يظهر في بعض الأفلام والمسرحيات بدور ثانوي، ولعل أشهر أدواره حين ظهر في مسرحية «شاهد ماشافش حاجة» بدور «الشاويش حسين».

لكن «علاء» كان طموحه أكبر، فالأدوار الثانوية التي شارك فيها صقلت موهبته، خصوصًا أنه عمل مع عدد كبير من النجوم على رأسهم «عادل إمام» الذي ظهر معه في أكثر من فيلم، فلفت نظر المخرجين، وبدأ يلمع نجمه، وتكثر مشاركته حتى التقطه المخرج شريف عرفة، وجعل منه بطلًا سينمائيًا لأول مرة في فيلم «الناظر» فأحدث ثورة في مقاييس النجومية، وحقق الفيلم إيرادات تاريخية، وكشف عن جيل من المضحكين الجدد أمثال أحمد حلمي ومحمد سعد، بالإضافة لإعادة اكتشافه للفنان حسن حسني، فكان بمثابة البوابة التي خرج منها عدد كبير من النجوم.

وكان بدهيًا أن يذهب إلى فيلمه الثاني بثقة وثقل، فقام بعمل فيلم «عبود على الحدود» ونجح أيضًا ولمع من خلاله كريم عبد العزيز وغادة عادل ومحمود

عبد المغني، ثم قدم فيلم «ابن عز» لكنه لم ينجح مثل سابقيه، وفي نفس التوقيت اتجه إلى المسرح وقدم مسرحية «حكيم عيون» وشارك في مسرحيتي «ألابندا» و«لما بابا ينام»، وكان يقوم بتجهيز فيلمه الجديد «عربي تعريفة» لكن بعد عودته من تصوير مشاهد الفيلم في «البرازيل» سقط مغشيًّا عليه في أول أيام عيد الأضحى قبل أن يكمل عامه الأربعين، ومثلما أحدثت أفلامه ضجة هائلة، أحدث رحيله زلزالًا داخل الوسط الفني وخارجه، فاكتأب بعض النجوم، وفكر البعض في اعتزال الفن، فأغلب النجوم الجدد إما من أصدقائه المقربين أو ممن اكتشفهم وقدمهم للجمهور.

المدهش أن «علاء» قبيل رحيله قام بشراء مقبرة في مدينة نصر، وعندما تعجبت والدته من فعله قال لها «ده البيت الأخير اللي هنروح فيه»، وذهب لرحلة «عمرة» واشترى من السعودية المسك الذي يُطيَّب به الموتى وأوصى أخاه إذا مات أن يطيّبوه به.

كان «علاء» مريضًا بالسكري منذ أن كان في التاسعة عشرة من عمره، وأرجع الأطباء سبب وفاته لكومة السكر المفاجئة التي أودت بحياته، وقد روى أخوه «معتز» الدقائق الأخيرة في حياته: «علاء قال لي قبل ما ينام أنا عايز أقرا الجرايد وأشوف إيه اللي بيحصل في البلد في اليومين اللي سافرت فيهم،

نزلت واشتريت جورنالين، واتفقنا إن هو يقرأ واحد منهم وأنا أقرأ الجورنال التاني، وبعد ربع ساعة نبدل الجرايد، وهو ده اللي حصل فعلًا، ولما دخلت له بعدها بحوالي 10 دقايق علشان أبدل الجورنال لقيته مات»!

رصيد «علاء ولي الدين» الحقيقي ثلاثة أفلام وثلاث مسرحيات إذا استبعدنا أدواره الثانوية، لكن رغم ندرة رصيده الفني فإن أعماله ستبقى خالدة وستُخلَّد ذكره، وستصمد إفيهاته، فما زال الجميع يردد معه «لف وارجع تاني» و«أنا زي بابا بالظبط» و«المدرسة دي طلّعت دكاترة وضباط وحرامية» و«هذه لي.. إلى فوق» و«انتي يا ولية يا اللى بابا كان بيشوط فيكي» و«عبروود»، فـ«علاء» كان «وليًّا» بحق.



المغرور

فنان تفنن في إضاعة الفرص، ورفض كل الهدايا، وخذل جمهوره، ورغم ذلك يَعتبِر نفسه فلتة عصره، وأهم كوميديان في جيله والأجيال التي سبقته، ولا يريد أن يواجه نفسه بالحقيقة التي يراها الجميع بوضوح وهو أنه صاحب موهبة كبيرة وعقل صغير، وأنه يسير بخطى ثابتة نحو نهاية مبكرة -قد تعيد إليه صوابه- فهو لا يتعلم ويظن أنه عالم، ولا يفكر ويتصور نفسه مفكرًا، رغم أن الجماهير من الإسكندرية إلى أسوان تعرف أنه لا يقدم سوى شخصية واحدة لا تتغير، ونمطًا مملًا ومكرَّرًا، ويصرُّ على الاستسهال، وكلما زادت شهرته تضاعف غروره.

هذه مشكلة «محمد سعد» فهو لا يصدِّق إلا نفسه ولا يسمع سوى صوته، فقد برع في أداء شخصية «اللمبي» ونجح بها وصار نجمًا، لكنه لم يحاول أن

يتقن غيرها، ولم يراهن على موهبته وقدراته، بل إنه بعد أن كان بطلًا في العمل أصبح يرى أنه العمل نفسه، وعلى الجميع الخضوع لرأيه ورؤيته بدايةً من المخرج ومرورًا بالمؤلف وحتى زملائه من الممثلين، وبالتالي لم يعد يعمل معه إلا أنصاف المخرجين والمؤلفين والفنانين.

إنها آفة شباك التذاكر الذي يظن محمد سعد أنه كل شيء، وأنه ما دام يحقق إيرادات فهو الأفضل والأهم والأنجح، ولا يشعر بهذا إلا لأنه لا ينظر حوله، ولا يشاهد منافسيه الذين تجاوزوه رغم أنه كان يسبقهم حين كان مخلصًا لفنه لا لشباك التذاكر، ووصل إلى أعلى قمة جبل الإيرادات، لكنه لم يحافظ على مكانه ومكانته، فمثلما صعد بسرعة الصاروخ هبط بسرعة البرق ومثلما صنع نجاحًا استثنائيًا صنع فشلًا مذهلًا، وبعد أن كان الجمهور يضحك على إفيهاته صار يضحك عليه، فأدواته ظلت بلا تطوير، وأداؤه صار باهتًا ومتكررًا ونمطيًا.

فقد أصرَّ «سعد» على تقديم شخصية واحدة فقط أصلها ثابت واسمها يتغير-أحيانًا- من أجل تغيير «الأفيش»؛ فمرة يكون «اللمبي» وأخرى «عوكل» وأحيانًا «بوحه» أو «كركر» أو «كتكوت» أو «بوشكاش» وعندما يضيق به الحال ويشعر أن الجمهور انصرف عنه يستعيد مرة أخرى اسم «اللمبي» بدلًا من أن يستعيد محمد سعد!

إنه «اللمبي» هكذا عرفناه، ناظر مدرسة «الجمهور المغفَّل عايز كده»، لذلك لا يؤمن بالنقد، وعندما اتهمه البعض بالديكتاتورية وحب الظهور الدائم واحتكار البطولة المطلقة كان رده: «الجمهور هو صاحب الحكم في مدى تفضيله للشخصية وهل كانت سيئة أم لا!».

محمد سعد بدأ رحلته نحو الشهرة بالصدفة وذلك عندما ذهب الراحل علاء ولي الدين إلى المخرج شريف عرفة ليقترح عليه اسم زميله محمد سعد ليقوم بتقديم دور «اللمبي» في فيلم «الناظر»، لكن المخرج رفض؛ لأنه اختار ممثلًا آخر لنفس الدور، وهو محمد لطفي، إلا أن علاء لم ييأس، وحاول بكل الطرق إقناع المخرج باختيار زميله محمد سعد، لأنه «مش هيقدر يكسر بخاطره بعدما وعده»، فوافق عرفة بعد إلحاح من علاء!

وظهر «اللمبي»، وتألَّق في عام 2000، وبعد عامين فقط أصبح محمد سعد بطلًا لأول مرة في فيلم «اللمبي» وحقق أعلى إيرادات في تاريخ السينما - وقتها - وصار نجم الشباك الأول وتصدر الساحة الفنية.

نختلف مع «سعد» لكن لا خلاف على أنه صاحب موهبة حقيقية حتى وإن فرَّط فيها، وله جمهور كبير حتى وإن قصَّر في حقه، وقد صعد سلم النجومية بمفرده وبمجهوده وبعرق جبينه بعد رحلة طويلة من العناء والاجتهاد

والإصرار والتحدِّي، وحقق الشهرة والمال لكنه لم يملك الذكاء الذي يدير به موهبته، والتواضع الذي يجعل نجاحه راسخًا ومستمرًا ومستقرًا في قلوب محبيه.



كشاف المواهب

سُئل أشرف عبد الباقي: لماذا اتجهت إلى المسرح بعد أن هجره الجميع؟

فأجاب: «مابيتعرضش عليّا شغل خالص، وأنا اتعودت أقول لبناتي أنا رايح الشغل.. عشان كده نزلت علشان أسعى، وأفضل بشتغل في نظر أسرتي».

هذا فنان صدق مع نفسه فصدقه الجمهور، لم يدّعِ بطولة، ولم يصبه الغرور، ولم يضرب قلبه التعالي رغم أن أي شخص في مكانه كان يمكن أن ينسب لنفسه كل شيء ويمنح نفسه كل الألقاب ويظهر في صورة الفذ، ويرتدي ثوب العبقرية، بينما أشرف فعل العكس، اكتفى بابتسامته الخجولة، واحتفظ بتواضعه غير المفتعل، وتعامل بذكاء وهدوء مع الحدث، فكان مثل المُستكشف الذي وصل إلى حدود قارة لم يصل إليها أحد قبله؛ لكن متعة الاكتشاف أغنته عن المبالغة في الاحتفال، فترك الناس يقدرون ما فعل.

نشأ «أشرف» في حي حدائق القبة بالقاهرة، وبدأ نشاطه الفني منذ كان طالبًا في مدرسة النقراشي، لكنه لمع في مسرح كلية التجارة جامعة عين شمس، ثم اتجه إلى المعهد العالي للفنون المسرحية واشترك في عدد هائل من المسرحيات ما بين عامي 1979 و1984 لكنه لم يتخذ الفن حرفة، بل ظلت هواية حتى اكتشفه المخرج هاني مطاوع ووجد أنه يمكن أن يكتفي بالفن، فترك مهنته التي برع فيها وحقق منها مكاسب مادية، واستطاع أن يؤسس من خلالها مكانة جيدة في عمل الديكورات والألمنيوم.

والتقى رأفت الميهي الذي فتح أمامه أبواب السينما، ثم اشترك في عديد من الأفلام والمسرحيات والأعمال الدرامية، وصار بطلًا لعديد من الأعمال المسرحية مثل «لما بابا ينام»، ومسلسل «يوميات زوج معاصر» و«حضرة المحترم» ثم قام بعمل تجربة السيت كوم في «راجل وست ستات» ونجح نجاحًا لافتًا، لكن فجأة انصرف المنتجون عنه ولم يعد هناك رغبة في الاستعانة به كبطل لأعمال فنية.

هنا لاحت أمامه فكرة تبدو صعبة وغير قابلة للتنفيذ؛ لكنه لم يعد أمامه بديل لها وهي أن يؤسس مسرحًا، ويستعين بعدد من الموهوبين الشباب الذين يبحثون عن أنصاف الفرص، وبالفعل وجد ضالته في مجموعة كانت تلهث

خلف الفرصة وأغلبهم من كليته التي تخرج فيها، وبدأ معهم، وأطلق على فرقته المسرحية «تياترو مصر»، ونجح وتألق وغيّر مفاهيم كثيرة كانت سائدة، وأحدث نقلة هائلة في المسرح المصري، وبعثه بعد موات.

فجاء الجميع خلفه يقلدون وينحتون في الفكرة بتفاصيلها دون زيادة أو نقصان لكن أحدًا لم يتجاوزه، بل هو نفسه الذي طوّر الأداء واستثمر في جهده، وصار الجمهور يلهث خلفه أينما ذهب هو وفرقته، حتى وإن تغير اسم الفرقة.

أشرف عبد الباقي فنان حقيقي لكنه غير محظوظ، ونجم كبير لكنه لم يجلس على القمة يومًا، وكوميديان لكن الجمهور لا يتزاحم على شباك تذاكر أفلامه، فهو ليس النجم الأول لكن الجميع يحبه ويحترمه ويقدر موهبته.

كان يمكن أن يظل «أشرف» ينجح نجاحًا متوسطًا، ويظهر في بطولات على استحياء، ويقبل بأدوار مساعدة للأبطال؛ لكن في لحظة استثنائية ذهب إلى الفرصة فوجدها تجلس في انتظار قدومه وحين استثمرها تغيّرت حياته، وبعد أن كان فنانًا مميزًا صار نجمًا متوهجًا وأستاذًا لجيل بأكمله وناظرًا لمدرسة في الكوميديا وصاحب رسالة ينتظر الجميع رؤيتها.

أشرف لم يجدد دماء المسرح فقط لكنه جدد دماء الفن بكل أشكاله، فقدم



مواهب شابة للسينما والتليفزيون من بينهم: علي ربيع ومحمد عبد الرحمن ومصطفى خاطر وحمدي الميرغني، وغيرهم. ربما لو كان ظل في طريقه وعاند ورفض التجديد لما وصل للمكانة التي هو عليها الآن، لو واصل تقديم موهبته في قالب ثابت لكان مصيره دورًا ثانيًا أو ثالثًا في واحد من مسلسلات رمضان كي يستطيع الإنفاق على أسرته ويسعد أبناؤه بأعمال والدهم الفنية.

لكن «عبد الباقي» قرر أن يبقى، فهو بالتأكيد يمتلك موهبة كبيرة في التمثيل؛ لكن موهبته الأكبر كانت في اكتشاف المواهب الكبيرة، وهذه موهبة لا يملكها إلا شخص متصالح مع ذاته، ويثق في قدراته، ويحب النجاح للجميع، ويسعد بتألق الآخرين.

وهذه قدرة لا يملكها كثير من أصحاب الجماهيرية الواسعة الذين لا يسعدهم سوى تألقهم، ولا يرضيهم سوى تصدر أسمائهم للأفيشات، ولا يفكرون إلا في أجورهم ولا يسمحون بالتصفيق إلا لهم وحدهم، وليأتي الجميع من خلفهم، وهذا هو الفرق بين ما فعله «أشرف عبد الباقي» للفن وما فعله غيره لأنفسهم.



المُجرب

اختار أن يسير كالقطار لا يسمح لأحد أن يقف في طريقه، ولا ينتظر أحدًا، لكنه يعلم أن هناك محطات يجب الوقوف عندها.

إنه الفنان أحمد حلمي...

وُلد أحمد حلمي في 18 نوفمبر عام 1969 ـ العام الذي رحلت فيه «ماري منيب» ـ وعاش طفولته في محافظة القليوبية، وتحديدًا مدينة بنها، وفي سن العاشرة سافر إلى السعودية بصحبة أسرته، وعندما عاد إلى مصر نجح في الثانوية العامة بأعجوبة بعد ثلاث سنوات من الرسوب نظرًا إلى اختلاف المناهج الدراسية.

والتحق «حلمي» بالمعهد العالي للفنون المسرحية ثم تخرج وعمل مذيعًا

في القناة الفضائية المصرية في برنامج «لعب عيال» لينطلق قطاره السريع نحو النجومية عام 1999 ـ وهو في الثلاثين من عمره ـ باشتراكه في فيلم «عبود على الحدود» مع الراحل الرائع علاء ولي الدين.

وهنا يعرف حدود قدراته ويضع يديه دائمًا على مواطن قوتها واختلافها، ويدرك أنه لا يملك مقومات فتى الأحلام لكنه يملك كاريزما خاصة فاق بها كل التوقعات وهدم من خلالها العديد من النظريات الراسخة وأولاها «الانطباع الأول يدوم» فحين ظهر في فيلمي «عبود على الحدود» و«الناظر» كان أقصى التوقعات تشير إلى أنه لن يكون أكثر من «سنّيد» جيد.

وحين أصبح بطلًا لفيلمين هما «صايع بحر» و«ميدو مشاكل» لم يلفت الأنظار، والبعض توقع «إن ده آخره» وأنه في طريقه إلى دخول النفق المظلم الذي دخله عدد كبير من نجوم الكوميديا؛ لكنه فاجأ الجميع بموهبته الاستثنائية، وقدم أفلامًا حققت إيرادات كبيرة، وفي ذات الوقت أشاد بها النقاد، مثل «كده رضا» و«آسف على الإزعاج».

أحيانًا تبدو ميزة «حلمي» هي عيبه!

فهو يحب التجارب الجديدة، ويُقبل عليها، ويسعى لكسر قواعد كثيرة، ويحاول أن يقدم صورة غير نمطية، فهو لا يريد أن يضع نفسه في قالب

الكوميديان فقط، فيسعى لتقديم أفكار مختلفة، لكن في نفس الوقت هذه الأفكار بمثابة صورة كربونية باهتة لأفكار عالمية ناجحة، وهذا ما بدأ يؤثر على شعبيته الكبيرة، ويجعل أفلامه لا تحقق النجاحات التي ينتظرها، لكن أظن أنه ما دام يُجرب ويجتهد سيصل إلى المعادلة الصحيحة.

يدرك «حلمي» أن الذي لا يقرأ التاريخ، هو فقط المحكوم عليه بتكراره - مثلما قال هنري كيسنجر - فتعلم من «عادل إمام» أن الموهبة وحدها لا تكفي لصناعة كوميديان، لكن يجب أن يكون معها عقلية ذكية وواعية تديرها، واستوعب سر نجاح «محمد صبحي» وهو أن الكوميديان ينبغي أن يكون صادقًا مع جمهوره بل قدوة لهم، وسار على نهج «فؤاد المهندس» في زواجه فاختار المستقبل بزواجه من فنانة تحمل نفس سماته الإنسانية والفنية هي «منى زكي»، وتجاوز حدود عالم المضحكين وأخذ من «أحمد زكي» التدقيق في اختياراته، والانشغال بتطوير أدواته.

ومثل كل هؤلاء سيمر «حلمي» بكل المراحل، بين الصعود والهبوط، بين الشك واليقين، بين الحماس والملل، لكنه سيظل واحدًا من أهم نجوم الكوميديا، لأنه الأكثر جرأة في تجاربه، وسيظل الجمهور يتساءل: «شوفت فيلم أحمد حلمي الجديد كام مرة؟!».

نجم بلا شباك!

إذا أردت أن تصل إلى تعريف دقيق لمعنى ومغزى «السهل الممتنع» فانظر إلى «ماجد الكدواني»، فهو التجسيد الحرفي لفكرة الأداء البسيط.

يؤدي بسلالة لاعب كرة شراب لا يرفع عينيه عن الأرض ويكتفي بمرور الكرة بين أقدام منافسيه ليشعر أنه قد تحقق له ما أراد، كأن الشهرة وتصفيق الجمهور وشباك التذاكر لا تمثل له شيئًا بقدر ما يسعده العمل ذاته، ومدى رضاه عن أدائه داخل العمل، فهو نجم لكن دون شباك تذاكر.

لا يسعى لانتزاع الضحكات، ولا يقاتل من أجل إضفاء البسمة على وجهك، ولا يحاول أن يفرض نفسه على المشاهد، يصنع البهجة دون تصنع، وينفعل دون افتعال، ويصرخ دون صخب، ربما يؤمن بما قاله الكاتب العالمي «برنادرد شو»: «أن تقول الحقيقة كما هي إنها أبدع نكات الأرض».

وُلد «ماجد» في حي شبرا، لكنه سافر بصحبة أسرته إلى الكويت حيث يعمل والده، وظل هناك حتى صار عمره 18 عامًا، وحين عاد التحق بكلية الفنون الجميلة قسم ديكور، وفي أثناء دراسته ذهب مع رفاق الكلية لعمل ديكور لإحدى المسرحيات، وكان يجلس في المسرح لساعات طويلة لكي يضبط الإضاءة خلال العمل المسرحي، ويومًا بعد يوم وقع في حب خشبة المسرح، وتعلق بستائره، وقرر أن يشترك في فريق التمثيل في الكلية.

وفور تخرجه ذهب لأداء الخدمة العسكرية؛ لكنه فوجئ أنه غير لائق طبيًّا، وذلك بسبب حادثة سيارة تعرض لها منذ سنوات، وأدت إلى إصابته بتمزق شديد في الأربطة واستغرق علاجه فترة طويلة أدت إلى ما يشبه العجز، وكادت هذه الحادثة أن تقضي على أحلامه، لكنه تعافى نسبيًّا بصورة تجعله يمارس حياته الطبيعية، فبدأ حياته العملية مبكرًا.

وفي هذه الأثناء اتخذ قراره أن يترك الديكور، ويحترف التمثيل، فذهب إلى معهد الفنون المسرحية، وحصل على البكالوريوس عام 1995، وشارك في مسرحيات الهواة، ومنها انطلق إلى السينما، وظهر لأول مرة في فيلم «عفاريت الأسفلت».

لكن التفت إليه الجمهور في عام 2003 مع ظهوره في فيلم «حرامية في

تايلاند»، وبدأ يشارك في بطولة العديد من الأفلام، بل وأصبح بطلًا لأول مرة في فيلم «جاي في السريع»، لكن تميزه يأتي دائمًا في دور مساعد البطل فهو يساعده على التألق، كما فعل مع كثيرين أبرزهم: أحمد مكي وكريم عبد العزيز وأحمد عز، وغالبًا ما يلجأ إليه المخرجون في الأفلام الدرامية التي تجسد واقعًا أليمًا؛ لكن ظهور «الكدواني» فيها يضفي عليها لمحة ساخرة، ولعل دوره في فيلم «678» شاهد على ذلك، وكذلك أداؤه في فيلم «أسماء».

قد يبدو للبعض أن «ماجد» يسير ببطء لكنه في الواقع يسير بثبات، ولا يحاول أن يسبغ على نفسه أوصافًا ليست له، فهو بطل في عمل يشارك فيه لكن بطولته غير مطلقة، وبدا ذلك واضحًا من خلال دوره في فيلمي «طير أنت» و«لا تراجع ولا استسلام».

فعادة الكوميديان أنه يلقي الإفيه وينتظر تصفيق الجمهور، بل إن البعض يصمت ليسمع كلمات الشكر والثناء، لكن «ماجد» يلقى الإفيه دون أن تشعر أنه فعل شيئًا، فهو يتصرف بعفوية وتلقائية وهدوء، ويمكن أن يجعل من فيلم وثائقي فيلمًا سينمائيًا وجماهيريًا بامتياز.



النحات

الحياة قد تبدأ بعد الأربعين، وقد تبتسم لك بعد الخامسة والأربعين، وربما تصير نجمًا في الخمسين من عمرك.

هذا هو الدرس الذي يمكن أن نتعلمه من الفنان «بيومي فؤاد»، ذلك الرجل المثابر الذي ظل سنوات طويلة يبحث عن فرصة ولا يجدها، يجتهد ويصبر ويجرب أكثر من بداية ويلتحق بأكثر من عمل ورغم ذلك الحياة تعطيه ظهرها.

قد يغضب ويشعر أن الطريق مغلق والأبواب موصدة لكنه لا يمل من طرقها والانتظار أمامها، وفجأة تبدأ الأبواب في المواربة وتفتح نافذة نحو الضوء فيقاتل «بيومي» لتتسع بؤرة الضوء وتزداد بقعة النور حتى تُفتح الأبواب على مصراعيها.

هذا بالضبط ما جرى مع «بيومي فؤاد»، فقد تخرّج في كلية الفنون الجميلة، وخلال سنوات الكلية شارك في فرقة أتيليه المسرح، وبعدها تخرج في الدفعة الأولى لمركز الإبداع الفنى قسم الإخراج، هذا بجانب عمله كموظف بقطاع الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة قسم الترميم.

لكن حين انهالت عليه الأعمال الفنية تقدم بطلب إجازة من دون مرتب ليتفرغ للفن، لكني لا أظن أنه يمكن أن يفكر في الاستقالة، فالوظيفة الحكومية الثابتة لسنوات طويلة، والحياة المخادعة والمتقبلة، وسنوات خدمته التي قاربت على الانتهاء، كل ذلك لن يجعله يفكر في تقديم استقالته، لكن قطعًا لن يفكر في العودة.

فـ«بيومي» قضى عمره في انتظار الفرصة، وحين بلغ الأربعين من عمره بدأ يحصل على أنصاف الفرص، ففي عام 2005 شارك في مسرحية «أهلًا يا بكوات»، وخلال خمس سنوات ظهر على استحياء في عدد من الأعمال الدرامية والمسرحية، لكن في السنوات الخمس التالية صار يملك سيرة ذاتية بها قرابة 40 مسلسلًا بجانب أكثر من 15 فيلمًا سينمائيًا، هذا بخلاف المسرحيات الذي يقوم ببطولتها.

كأنه بئر تم اكتشافها فجأة دون تخطيط، فقرر الجميع الاحتفاء والاحتفال به، فظهر في عدد هائل من الأعمال الفنية في وقت قياسي لدرجة تجعله لا

يستطيع أن يحصر عدد الأعمال التي شارك بها خلال عام 2016 تحديدًا، ذلك العام الذي توهج فيه وهو يحتفل بعيد ميلاده الواحد والخمسين، فتشعر أنه «جعان» تمثيل وشهرة ونجومية وبهجة، ولا مانع من الفلوس أيضًا!

فقد صار مثل صك لا يمر العمل الفنى من دونه، فربما عمله لسنوات طويلة في ترميم الآثار أثّر عليه، وجعله يتعلم النحت، فصار نحتًا أو «نحِّيتًا»!

هو رجل ثقيل الموهبة والحجم، وخفيف الظل والحركة، تجده جادًّا وهزليًّا، ضاحكًا ومكتئبًا، ساخرًا وكئيبًا، حاضرًا وشاردًا، منفعلًا وهادئًا، صارمًا وتافهًا، يجيد تجسيد كل شيء وأى شيء دون افتعال أو انفعال زائد، يمكن أن يصنع من المأساة ملهاة، ومن الفاجعة نكتة مضحكة، ويمكن أن يصمت حتى تظنه أبكم، وحين يتكلم تظنه لم يعرف الصمت قط، فهو موهبة صمتت كثيرًا؛ لكنها حين تحدثت عن نفسها قررت أن يصمت الجميع.

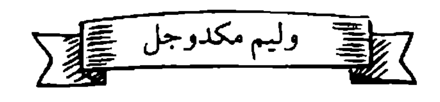
لذا عندما سأل «رامز جلال»، «بيومي فؤاد»: مين أكتر حد يفرح فيك لما يتعمل فيك مقلب؟

وكان «رامز» يتوقع أن يقول الفنان «حسن حسني»، لكن «بيومي» قال: لطفي لبيب، أما الواقع فيقول إن ظهور بيومي سد الأفق عن فنانين كثيرين، وحجب الشمس والمُنتجين عنهم!



الفصل السادس

إننا نضحك لأننا تعساء.





بيبو

لا أظن أن لاعبًا مصريًّا أو عربيًّا حظيَ بهذا الحب، وبكت على فراقه الجماهير بتلك اللوعة.

خرجت الجماهير من البيوت، وجاءت من كل حدب وصوب، بعضهم بالسيارات وأغلبهم داخل الأوتوبيسات ومن أغلب المحافظات، وبعضهم أصر على أن يأتي سائرًا على الأقدام، والبعض اصطحب زوجته، والبعض اكتفى بأبنائه، والبعض فضَّل أن يكون بصحبة أصدقائه، والبعض أراد أن يذهب بمفرده حتى لا يرى رفاقه دموعه.

كل مشجع ذهب إلى الاستاد كان يحمل ذكرى فرحة حملها له الخطيب، فخلال 266 مباراة لعبها أحرز 154 هدفًا خلف كل منها قصة وذكرى.

لم يكن في يوم اعتزاله موضع لقدم، فالجماهير سكنت كل شبر من مساحة استاد القاهرة، وافترش الآلاف السلالم الفاصلة بين المدرجات، ونزل بعضهم إلى أرضية الملعب، ولم يتركوا أعمدة الإنارة بل وقفوا فوقها، وصار التقاط الأنفاس يحتاج إلى جهد، وجاءت لحظة النهاية، وبكى مئة وعشرون ألف مشجع كانت قد امتلأت بهم جنبات استاد القاهرة، وتساقطت الدموع من الملايين الذين تابعوا الاحتفال عبر شاشة التليفزيون.

كان مشهدًا مؤثرًا وتغمره مشاعر الحب والتقدير؛ لكنه حاول أن يتماسك ويثبت ويهدأ فأمسك بالميكروفون وقبل أن ينطق بكلمة واحدة هتف 120 ألف مشجع في لحظة واحدة: «لا يا بيبو.. لا يا بيبو».

فانهمرت دموعه ولم يستطع أن يقول سوى كلمتين فقط وردد‌هما أربع مرات: «ألف شكر.. ألف شكر.. ألف شكر».

هكذا جاء مشهد اعتزال محمود الخطيب ذلك الرمز الكروى الذي لا يمكن أن يتكرر، واللاعب المصري الوحيد الذي حصل على جائزة الكرة الذهبية التي تمنحها مجلة «فرانس فوتبول» لأحسن لاعب في أفريقيا.

لكن الجماهير حين بكت لم تبكِ فقط على لاعب ترك الملاعب، ولم تبكِ على نجم كبير وهداف خطير، ولم تبكِ على صاحب الموهبة الجبارة؛ لكنها

بكت على القيمة التي يحملها الخطيب، وبكت على صاحب الخلق الرفيع الذي حصل على لقب أحسن أخلاق رياضية؛ لأنه لم يحصل طوال حياته الكروية الطويلة إلا على إنذار واحد فقط.

الناس بكت على ما يمثله «بيبو»، وبكت على انتهاء عصر، وبكت على ذكرياتها التي حملها زمن الخطيب، فكل مشجع بكى لسبب ما يحمله بداخله ويشعر أن اعتزال بيبو هو بمثابة تفجير لتلك الشحنة العاطفية الكامنة على زمن مضى.

كان من الممكن أن يسكن بيبو الكواليس بعد مشهد الاعتزال، ويتوارى في الظل، وتبتعد عنه الأضواء لكن المدهش أنه بعد أن غادر الملعب وترك المستطيل الأخضر، ظل محافظًا على وهجه وطلته وحضوره ومكانه ومكانته داخل قلوب الناس.

وهذه قيمة الخطيب الحقيقة، أنه حافظ على وهجه من البداية إلى النهاية، وصنع من قصة كفاحه صورة مضيئة ومثالًا يُحتذى به، فقد وُلد «بيبو» في شهر أكتوبر من عام 1954 في إحدى قرى محافظة الدقهلية، وكان ترتيبه العاشر بين إخوته الاثني عشر، فأحب رقم عشرة، وحين ذهب ليلعب كرة القدم في نادي النصر حصل على رقم عشرة دون أن يطلبه، وتألق، وحين بلغ عمره

خمسة عشرة عامًا صار اسمه يتردد باعتباره أفضل ناشئ في مصر؛ فسعى الأهلي للتعاقد معه.

وفرح الخطيب لكن نادي النصر بالغ في طلباته المادية ـ بمقاييس ذلك التوقيت ـ ورفض أن يعطي الاستغناء الخاص باللاعب، وظل الخطيب لمدة عام كامل ينتظر حسم موقفه، حتى استطاع الأهلي انتزاع موافقة ناديه السابق، فانتقل وعمره 16 عامًا، وحين ذهب إلى الأهلي قرر أن يرتدي القميص رقم عشرة.

لكن تبقى في ذاكرة بيبو بضعة مشاهد خالدة صنعت البهجة لجمهور الأهلي، لعل أشهرها حين كان مريضًا ويشكو من حرارته المرتفعة، لكنه أصر على أن يجلس في مقاعد البدلاء في مباراة نهائي كأس مصر عام 1978، وعندما تأزمت الأمور، وصار الزمالك متقدمًا على الأهلي بهدفين لهدف لجأ إليه المدير الفني، ودفع به إلى الملعب، فقلب الطاولة وأحرز هدفًا، وأحرز الأهلي البطولة بأربعة أهداف مقابل هدفين.



المعلم

الدقيقة تسعون، والوقت يمضي، والأنفاس مكتومة، والنبض متسارع، والحَكَم يستعد لإطلاق صافرة النهاية، والجمهور مترقب، والمعلق يلملم أوراقه، والمدرب يندب حظه، والجنود يتأهبون للخروج من المباراة، والصمت يخيّم على الأجواء، والحزن يسكن قلوب الزملكاوية.

وفجأة باغت «حسن شحاتة» الجميع حين أمسك بالكرة قبل منتصف الملعب، ومرّ بها، وراوغ مَن اعترض طريقه نحو المرمى حتى انفرد بالحارس، ومرّ منه، ووضع الكرة في الشباك، فضجّ الملعب بصراخ الفرح وجرى حسن نحو الجمهور ومزّق فانلته التي تحمل الرقم 14 فهتف الجميع «حسن شحاتة يا معلم.. خلّي الشبكة تتكلم»، ومنذ ذلك اليوم صار هو وحده «المعلم».

هذا واحد من المشاهد الخالدة في قلوب الزملكاوية، وفي ذاكرة كل مشجعي الكرة المصرية.

فالمعلم «حسن شحاتة» كان لاعبًا استثنائيًا يلعب في كل المراكز في الملعب، ويتلاعب بالخصوم، وحين ينفرد بالمرمى لا يمكن أن تضيع منه الكرة، بل على حارس المرمى أن يبتعد حفاظًا على سمعته الكروية؛ لكن رغم كل ذلك لم ينل حظه، ولم يحصل على المكانة التي يستحقها، رغم حصوله على أفضل لاعب في بطولة إفريقيا، وحصاده أيضًا للقب أفضل لاعب في آسيا حين كان يلعب مع فريق «كاظمة» في الدوري الكويتي.

ومثلما كان «حسن» لاعبًا استثنائيًا، كان أيضًا مدربًا فذًا، فقد حقق مع المنتخب المصري بطولة إفريقيا ثلاث مرات متتالية أعوام 2006 و2008 و2010، وفاز مع المقاولون العرب بكأس مصر والسوبر، وفاز على الأهلي والزمالك وهو ما زال مدربا في الدرجة الثانية، بل وحصل أيضًا على بطولة إفريقيا للناشئين، واكتشف مجموعة من المواهب الكروية استطاعت أن تصل بمصر إلى تصدر ألقاب قمة القارة السمراء.

وصار «حسن شحاتة» الصانع الأول لبهجة المصريين، والنجم الأول، حينها كان في قمة عطائه، اجتهد وصبر وثابر وخدمته الظروف بجيل استثنائي،

وقد استثمر الفرصة وصنع بها مجدًا يبقى دهرًا وصار المدرب رقم واحد في مصر والوطن العربى وإفريقيا.

لكنه بعد سنوات من انتهاء تجربته مع المنتخب القومي حاول وجرّب وسعى لأن يبدأ من الصفر، فذهب لتدريب نادي المقاولون مرة أخرى، وظن أن التاريخ يعيد نفسه، ومثلما كان هذا النادي هو بوابته نحو الشهرة والنجومية وتدريب المنتخب، قد يعيد نفس السيناريو مرة أخرى.

لكن «حسن» لم يدرك أن الأوضاع تغيرت، والحظوظ تبدلت، ومقاييس النجاح اختلفت، فأخفق مع المقاولون، وتركه، وصارت العروض القادمة إليه شحيحة، لا تتناسب مع حجم ما قدمه من إنجازات.

أزمة «حسن» أنه ربما لم يتعلم من تجربة «محمود الجوهري» حيث يجب بعد الإنجازات الكبرى أن تبحث عن عمل مختلف، وأن تجدد أفكارك لتتناسب مع المكانة التي وصلت إليها لكن ربما كان ينقص المعلم «حسن شحاتة» شيء من الثقافة لتطوير أدواته، وإعادة تقديم نفسه بصورة تليق بقدره وقدراته، وما حققه من إنجازت تُعجز من يأتي بعده.



المراوغ

هل شاهدت فقرة الساحر من قبل؟ هل تأملت ما يفعله؟

يلعب على عنصر الإبهار.. يخطف بصرك إلى حيث يشاء.. يُظهر ما يشاء ويُخفي ما يريد، ويجعل عينيك لا تقع إلا على ما يود أن تراه، لا يلعب بكل أوراقه دفعه واحدة، ويستخدم الخداع والتمويه لينْفذ إلى قلب متابعيه، ولا يمكن أن تعرف ما يقبض عليه بين يديه، فهو يقلب كفيه فتجدها خاوية، وفجأة يخرج منها ما يجعلك تفتح فمك إعجابًا وتعجبًا وسعادةً، وتجد نفسك لا تملك سوى التصفيق له والاعتراف بقدراته.

فالساحر لا يكتفي بسعادتك، فهو ينتظر دائمًا لحظة انبهارك، ليشعر بنجاحه في مهمته، وهذا ما يفعله «محمد أبو تريكة» عيناه ترى الهدف قبل وقوعه،

ويصيب الهدف بعينيه قبل قدمه، ربما لذلك تجده يحتفل بالهدف بمجرد أن تنطلق الكرة من قدمه، وقبل أن تسكن الشباك.

هو نجل لرجل بسيط يُدعى «محمد أبو تريكة» وجدّه اسمه «محمد» وهو أيضًا «محمد» ربما اسمه كفيل بأن تعرف مدى صبر تلك العائلة، وبساطتها، ورضاها بالأمر الواقع، وعدم ميلها للتغيير.

فقد وُلد «محمد» في 7 نوفمبر 1978 في قرية «ناهيا»، إحدى قرى محافظة الجيزة، ونشأ في أسرة بسيطة مع ثلاثة أولاد وبنت واحدة، وقبل أن يُتم العاشرة كان عليه أن يكسب قوته من عمل يده، فذهب إلى مصنع طوب ليتحصل على أجره في نهاية كل يوم، لكنه لم يترك دراسته، بل أكمل رحلته مع التعليم حتى تخرج في قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة.

عندما بلغ أبو تريكة 12 عامًا، نصحه صديقه بالذهاب إلى اختبارات نادي الترسانة، وبالفعل نجح فيها، وانضم لأحد فرق الناشئين، وتألق حتى وصل إلى الفريق الأول، بل وقاد الفريق للصعود إلى الدوري الممتاز، ولفت الأنظار، وبدأت العروض تتوالى عليه، لكنّ أحدًا من الذين عرضوا عليه الانضمام لم يكن يظن أنه سيفعل ما فعل!

فحتى عام 2003 كانت النظرة إلى «محمد أبو تريكة» باعتباره لاعبًا موهوبًا،



لكن الموهوبين كثُر، وحتى عندما انضم إلى النادى الأهلي كانت التوقعات أن يكون جيدًا لا مؤثرًا، فلم يحدث نزاع عليه مثلما يحدث عادةً على المشاهير من أنصاف الموهوبين، بل ذهب بهدوء ليرتدي القميص الأحمر، ويحمل الرقم الفارغ وهو «22» ومر عامه الأول دون صخب.

وذهب إلى رحلة «عمرة» بصحبة زميله في الملعب وائل رياض، وداخل المسجد النبوي سأله «وائل»: «مش ناوي تغير رقم 22؟» فنظر «محمد» إلى باب المسجد النبوي فوجد نفسه يقف أمام الباب رقم «22» فقرر أن يحتفظ بهذا الرقم إلى الأبد.

وفي عام 2004 بدأ يتألق ويؤثر، فانضمّ لأول مرة إلى منتخب مصر، وبعد عامين قضاهما بين الأهلي والمنتخب عرف طريق الشهرة والنجومية والبطولات فحصل على الدوري وبطولة الأندية الإفريقية، وبطولة إفريقيا مع المنتخب، وحافظ على توازنه النفسي فلم يغترّ بما فعل، وواصل رحلة الأهداف والبطولات فحقق في 6 سنوات ما يحتاج البعض إلى 60 عامًا ليحققه، فحصد كل البطولات مع ناديه.

وفي عام 2006 حدثت أكبر نقطة تحول في حياة «أبو تريكة»، فهدفه في الوقت القاتل في الصفاقسي التونسي وإحرازه بطولة إفريقيا من قلب تونس

جعله يقف أعلى قمة جبل النجومية، وكذلك إحرازه لضربة الترجيح الأخيرة في نهائي بطولة إفريقيا مع المنتخب.

«أبو تريكة» من تلك النوعية من البشر التي إن لم تحبها لا تستطيع أن تتجاهلها، فالكرة تعرفه وتذهب إليه وتتأرجح أمامه وتلتصق بقدميه وتستريح على صدره.

يمتلك «أبو تريكة» قدرات كبيرة لكن قدرته الكبرى هي «المراوغة»، فهو يراوغ داخل الملعب وخارجه، يراوغ اللاعبين والمعلقين والمذيعين والجماهير، يراوغ بالكرة وبالتصريحات، فلا يمكن أن تقول إنك تملك الحقيقة الكاملة عنه أو أنك تعرف ما يفعله، لكنك لا تملك سوى التسليم بموهبته في المراوغة، فهو يتفنن في تسجيل الأهداف في كل الاتجاهات حتى وإن جاء بعضها من تسلل!



المضيء

الضوء هو طاقة مُشعة، وكذلك حازم إمام!

هو من قليلين تكفيهم إضاءة خافتة كي يلمعوا ويتصدروا المشهد، رغم أنه لا يهوى الأضواء، لكنها تبحث عنه أينما حلّ، وتذهب إليه طائعة، راضية، سعيدة.

فهناك أشخاص حين تسلط عليهم الأضواء يبهتون، بينما تجد آخرين يلمعون، ويسطعون، وبعضهم بإمكانه أن يمنحك السعادة حتى لو سمعت اسمه فقط!

«حازم» لا يحتاج إلى تعريف فهو نجل «محمد يحيى الحرية إمام» فوالده هو الثعلب «حمادة إمام»، واحد من أفضل لاعبي الكرة في تاريخ الزمالك، ولم

يحصل على إنذار واحد طيلة حياته الكروية، وكان يشغل منصب نائب رئيس الاتحاد المصري لكرة القدم، ووكيل مجلس إدارة نادي الزمالك، وجده كان حارسًا أمينًا لمرمى الفريق ومنتخب مصر.

لكن المدهش أنه رغم عائلته الكروية العريقة فإن موهبته تم اكتشافها بالصدفة، فقد كان يلعب في ناشئي نادي الصيد، ولم يذهب للاختبار في نادي الزمالك خشية أن تتم مجاملته، وفجأة اكتشف والده أن نجله يملك موهبة كبيرة، وأن مهارته يجب أن لا يستفيد منها نادٍ غير الزمالك.

وبالفعل ذهب إلى القلعة البيضاء، وحقق كل البطولات: الدوري والكأس وكأس إفريقيا، وكان أول محترف عربي في إيطاليا حين التحق بنادي أودينيزى الإيطالي في صيف 1996 بعد أن تم اختياره كأفضل صانع ألعاب في قارة إفريقيا في نفس العام.

وبعد عامين وقّع «حازم» على عقد إعارة مع نادي غرافتشاب، وأمضى هناك 18 شهرًا، ثم عاد مرة أخرى إلى الزمالك، ويوم عودته فاز الزمالك على الأهلي وأحرز هدفًا عالميًا، وظل يتألق لسنوات، ثم ترك ملاعب كرة القدم في عام 2008 وهو على منصة التتويج ويحمل كأس مصر بين يديه.

«حازم إمام» حافظ على مكانته خارج الملعب، فبمجرد أن ترك الملعب صار



عضوًا بمجلس إدارة نادي الزمالك بأعلى الأصوات، وبعدها صار عضوًا في اتحاد الكرة، فهو واحد من هؤلاء الذين بمجرد أن تراهم أو يأتي ذكرهم تشعر أن على هذه الأرض ما يستحق الحياة، وأنه ما زالت هناك نماذج راقية، ومهذبة، ومتحضرة، وناجحة، ومتحققة، ويحبها الناس، وتظهر على الشاشات.

فبمجرد رؤيته يجلس على مقاعد البدلاء يمنح جمهور الزمالك شعورًا خفيًّا بالسعادة، فالزملكاوي يُسعده اللعب الجميل والفن والمهارة أكثر من الأهداف والبطولات، لأنه ببساطة لو كانت تشغله البطولات لكان ذهب لتشجيع الأهلي ووفّر على نفسه حبس الأنفاس وحرقة الأعصاب!

ارتبط اسم «حازم» بالسعادة المقترنة بالهدوء ربما لأنه حصد العديد من البطولات مع الزمالك والمنتخب الوطني، وأسهم في صناعة الفرح لملايين المصريين لسنوات طويلة، وحافظ على مكانه، ومكانته في قلوب الجميع بمختلف انتماءاتهم، فهذه العائلة جمعت بين الفن الجميل والأدب الجم.



ماسح الأحذية

كان بلا منافس..

كان يمرر الكرة على جميع أجزاء جسمه ثم يلتقطها بأصابع قدمه، ليمررها من بين أقدام منافسيه الذين كانوا يذهبون للاستمتاع باللعب أمامه.

إنه «إديسون أرانتيس دو ناسيمنتو» الشهير بـ«بيليه» رئيس دولة كرة القدم، والملك المتوج على عرش الكرة في كل أنحاء الكرة الأرضية، والحدث الأكبر في تاريخ اللعبة، فيمكن ببساطة أن يؤرَّخ لكرة القدم قبل «بيليه» وبعده.

وُلد «بيليه» في بيت عبارة عن حُجرة واحدة فقط آيلة للسقوط، ومن فتحاتها تتساقط أمطار الشتاء وتمر الحشرات، وكان لا يملك سوى الثياب الرثة، ولا يتناول سوى وجبة طعام واحدة، ورغم عمله كماسح للأحذية لم يمتلك حذاء، لكن هذا لم يمنعه من حلمه، فكوّن فريق كرة قدم من الصبية في

شارعه، والشوارع المحيطة، وأطلق عليه فريق «حفاة القدمين» وكانوا يلعبون كرة القدم وهم حفاة، ولم تكن الكرة سوى «ثمرة جريب فروت» أو ما نطلق عليه اسم «الكورة الشراب».

وقبل أن يكمل عامه السابع صار والده عاجزًا عن الحركة، بعد أن أصيب في ركبتيه، ولم يعد قادرًا على وضع قدميه على الأرض، وصار نجله الصغير مضطرًّا إلى العمل، وحينها لم يكن مؤهلًا لأي عمل سوى أن يكون ماسحًا للأحذية، فشمّر عن ساعديه، وجمع بمساعدة شقيق والده المال الكافي لشراء أدوات مسح الأحذية، وذهب إلى أحد الأحياء الراقية ليعمل هناك، لكن والدته أبت وأصرّت على أن يعمل في المناطق القريبة من منزله، لكنه كان يدرك أن هذه المهنة لا يمكن أن يُكتب لصاحبها النجاح ما دام يعمل في حي أغلب المقيمين به حفاة!

وفي تلك الأثناء كان يكره الاسم الذي اشتهر به، لدرجة أنه طُرد من المدرسة ذات مرة لأنه تعدى بالضرب على زميل له ناداه باسم «بيليه»!

وفي عام 1954 انتقل إلى أحد أندية الناشئين، وهناك تم تدريبه طويلًا ليلعب بالحذاء، فلم يكن يستطيع التحكم في الكرة بالحذاء، لكنه صبر، وصبروا عليه حتى أتقن اللعب بحذاء الكرة، فقادهم إلى الفوز بكأس البرازيل للناشئين في

نفس العام، ثم بدأ مسيرته الاحترافية بالانتقال إلى نادي «سانتوس» البرازيلي، وتوقع له النقاد وجماهير الكرة أن يكون من أفضل لاعبي العالم، وتم اختياره ليلعب ضمن صفوف المنتخب البرازيلي الأول قبل أن يكمل عامه السابع عشر.

وبعد أربع سنوات ذهب مع المنتخب إلى كأس العالم ليصير أصغر لاعب يشارك في البطولة، لكن المفاجأة أنه قاد بلاده للفوز بكأس العالم بعدما أحرز هدفين في نهائي البطولة.

وحين قرر اعتزال كرة القدم كان قد فاز بكأس العالم ثلاث مرات، وحصل على جائزة أفضل لاعب في العالم، ولعب لمنتخب بلاده 92 مباراة لم يخسر خلالها إلا في 11 مباراة فقط، وأحرز اكثر من ألف هدف!

«بيليه» ليس مجرد لاعب كرة بل هو رمز لدولة كرة القدم، لذلك عندما قام حَكَم بطرده تدخَّل وزير الشباب والرياضة، وأصدر قرارًا بإيقاف الحَكَم شهرًا، ولم يستطع أحد الاعتراض على القرار، ليس لأن «بيليه» على حق والحَكَم على خطأ، ولكن بسبب المبررات التي ساقها الوزير لإصداره هذا القرار بقوله: «لقد حرم الحَكَم الجماهير من متعة مشاهدة نجم محبوب، وتلك جريمة لا تُغتفر»!



ابن الجنايني

«القياس» هو مقابلة شيء ما بشيء آخر من النوع ذاته لنعرف إذا كان مساويًا له أو ينقص عنه أو يزيد.

فإذا كانت وحدة قياس الزلزال هي ريختر، ووحدة قياس الزمن هي الثانية، ووحدة قياس الطول هي المتر، ووحدة قياس الكتلة هي الكيلوجرام، فوحدة قياس قدرات لاعب كرة القدم هي «كريستيانو رونالدو».

هذا ليس تحيزًا له، ولا رغبة في منحه لقبًا جديدًا فهو ليس بحاجة إلى مزيد من الألقاب بل إن بعض الألقاب تكون بحاجة إلى نجوم بحجم رونالدو لتزداد بريقًا، ولمعانًا، وثِقلًا.

لكن رونالدو صنع شيئًا مغايرًا لم نعرفه من قبل، هو رجل يتفنن في هزيمة



الرقم القياسي حتى صار هو ذاته رقمًا قياسيًّا لا يمكن تحطيمه حتى إنه صار الحد الأقصى لقدرات الإنسان الطبيعي حين يجتهد ويصبر ويثابر، بل هو الحد الأقصى لاجتهاد القدرات البشرية.

هو ذلك الرجل الذي يظهر كل مئة عام ليثبت أن الجهد مع الموهبة، والعرق مع القدرات الخاصة، والذكاء مع الكفاح، يمكن أن تصنع المستحيل وتغيّر مجرى التاريخ بل وتصنع تاريخًا موازيًا بدأب وإصرار وعزيمة.

ربما يتساءل البعض: لماذا لا يكون «ميسي» هو وحدة القياس؟

والجواب: لأن «ميسي» لا يُقاس عليه، فهو مُلهَم، وخارق لطبيعة البشر، فموهبته أكبر من أن تتكرر، ومهاراته تصل إلى حد المعجزة التي يصلح معها أن تكون وحدة تُقاس عليها مواهب الآخرين، فموهبة «ميسي» أكبر من جهده، ومهاراته لم يصنعها اجتهاده بل منحة ربانية حصل عليها وحده، لكن ربما يصلح «ميسي» كوحدة قياس للاعب «البلاي استيشن»، حيث اللا معقول معقول جدًّا!

أما «رونالدو» فقدراته الفذّة نابعة من إصراره، وعناده، وصبره، ومثابرته، فيكفي دولة مثل البرتغال أن يأتي إليها كريستيانو واحد على مدار تاريخها فيصنع لها تاريخًا لم يبلغه سواه، ولا يمكنها تحقيقه من دونه، ليصير مصنع

البهجة لشعب البرتغال، ومصدر السعادة لجماهير ريال مدريد.

وُلد «كريستيانو» في 5 من فبراير عام 1985 أحد أحياء مدينة «ماديرا» وهو الطفل الرابع والأخير لوالديه، أمه كانت تعمل طباخة، ووالده كان بُستانيًا، وقرر أن يطلق على نجله الأصغر اسم «رونالدو» بسبب حب والده للرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان، لكن والده لم يخطر بباله أن «ابن الجنايني» سيصبح بعد سنوات أشهر من رئيس أمريكا!

والبداية كانت في الثامنة من عمره حين لعب كريستيانو لنادي للهواة، حيث كان والده هو مدرب الفريق ثم وقّع «رونالدو» مع نادي ناسيونال ماديرا المحلي، وبعدها ذهب لإجراء التجارب في نادي سبورتينج لشبونة البرتغالي، ونجح في الاختبارات، وصنع الفارق، ففي عام واحد فقط لعب في كل المراحل السِّنية (تحت 16، تحت 17، تحت 18، الفريق ب، الفريق الأول) كل ذلك في موسم واحد.

وحين أتم عامه الخامس عشر أصيب بمرض في القلب، وتم تشخيص حالته بتسارع نبضات القلب، وهي حالة كادت تجبره على التخلي عن كرة القدم إلى الأبد، لكن بعد استطلاع رأي الأطباء خضع لعملية جراحية دقيقة، ونجحت الجراحة، واستعاد عافيته، وعاد إلى الساحرة المستديرة.

وفي صيف عام 2003 تألق «كريستيانو» فقرر المدير الفني لمانشستر السير أليكس فيرجسون التعاقد معه، وحين وصل «رونالدو» إلى ناديه الجديد طلب الحصول على رقم 28 الذي كان يرتديه في ناديه السابق، لكن «فيرجسون» رفض! وقرر أن يمنحه رقم 7، ذلك الرقم الذي لا يرتديه سوى أساطير كرة القدم الذي مروا بالنادى الإنجليزي الأعرق.

إن عبقرية «رونالدو» ليس في كونه الأفضل أو الأمهر، لكن تفرده يكمن في كونه لاعبًا ثابتًا على مستواه بشكل غير عادي -مثلما وصفه أنشيلوتي مدربه السابق في ريال مدريد- هذا سر استمراره على القمة كل هذه السنوات.

حصل على كل الألقاب التي يمكن أن يحصل عليها لاعب كرة قدم، بل إنه حصل على عدد من الألقاب لم تحصل عليها دول كبرى في كرة القدم، لكن أفضل عام بالنسبة إليه هو عام 2016، فقد حصل على بطولة أبطال أوروبا للأندية مع ريال مدريد، وبعد أقل من شهرين حصل على بطولة الأمم الأوروبية مع منتخب بلده، ليحصل في نهاية العام على أفضل لاعب في العالم لهذا العام.





ثلاثي أضواء الملعب

حين كان لاعب الزمالك السابق «محمد صبري» يتناول الإفطار في بيت أحد أصدقائه بإحدى قرى محافظة الدقهلية عرض عليه صديقه أن يحتسيا الشاى على قارعة الطريق ويشاهدا معًا دورة رمضانية يشارك فيها أبناء القرية.. وبالفعل جلسا معًا يشاهدان الدورة وفجأة وقعت عينا «صبري» على لاعب صغير الحجم والسن لكنه يملك موهبة استثنائية.. فهو يفعل كل شيء بالكرة يمررها كيفما شاء ويعبر بها بسلاسة وسهولة ومرونة من أي لاعب.

وبعد أن انتهت المباراة نادى «صبري» على اللاعب وجلس معه وسأله: «انت حقيقي؟!.. انت بتلعب في نادي إيه؟!» فابتسم الشاب الصغير وقال له: «اسمي مصطفى فتحي وبالعب في الشارع، لكنى مقيّد في نادي درجة ثالثة لكن النادي مش عايز يلاعبني»!

فتشكك «صبري» في الشاب وقرر أن يصطحبه معه في مباراة ودية يخوضها فريقه الذي يدرّبه في الدرجة الثانية وبالفعل ذهب «فتحي» مع «صبري» ليلعب معه مباراة ضد فريق المصري في بورسعيد، وشارك «فتحي» في المباراة وراوغ كل من في الملعب ولم يبقَ إلا أن يصعد إلى المدرجات ليراوغ الجمهور!

وبعد المباراة قرر نادي المصري أن يشتري اللاعب، لكن «صبري» ذهب به إلى نادي الزمالك ودفع من جيبه المبلغ الذي يريده فريقه السابق وحصل على الاستغناء الخاص به، وأهداه إلى ناديه.

كان من الممكن أن يمتلك مهارة غير عادية لكن حين يذهب للتدريب مع الفريق الأول لنادي الزمالك يهبط مستواه، ولا تسعفه مهاراته، ولياقته البدنية لا تجعله يقف على قدمه ويظهر أنه لاعب خماسي فقط، ولا يصلح للعب في المستطيل الأخضر، لكنه أثبت العكس وأبدع في الملعب وغيّر نظريات كثيرة في كرة القدم، فقد أتى من الشارع ليلعب في واحد من أكبر الأندية المصرية والعربية والإفريقية، ويتألق «مصطفى فتحي» مع الزمالك ويذهب إلى المنتخب ويثبت أنه لاعب دولي ويستحق الإشادة.

لكن تفرُّد «فتحي» يكمن في كونه لا يفعل السهل لكنه يتفنن في صناعة المعجزات الكروية، فلا يضع هدفًا سهلًا ولا يمر من المدافع إلا بعد أن يراوغه

ويطرحه أرضًا ولا يضع الكرة في المرمى إلا بعد أن يطمئن إلى أن الحارس قد استسلم وافترش النجيل الأخضر، ويتمنى أن يصوب «مصطفى فتحي» في المرمى لينهي هذا العذاب الكروي.

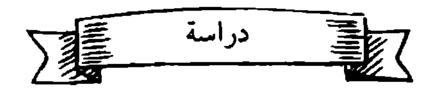
ميزة «مصطفى فتحي» أنه لا يخشى حراس المرمى ولا المدافعين، وربما لا يشغل باله بالجماهير هو فقط يستمتع كطفل صغير معه قطعة حلوى لا يدعها إلا بعد أن يستمتع بها لآخر «قطمة»!

لكن ليس «فتحي» وحده الذي يتمتع بتلك القدرات غير العادية، فهناك اثنان قد يتفوقان عليه هما «محمود عبد الرازق» الشهير بـ«شيكابالا» و«أيمن حفني»، فكلاهما يتحرك ضد نواميس الكون، ويبنيان استراتيجيتهما في اللعب على نظرية «غير المتوقَّع»، فلا أحد يعرف ما يمكن أن يفعلاه بالكرة، ولا حتى هما! فهما يتحركان بالإحساس ليس وفق قواعد مدروسة بل يتفننان في هدم القواعد، وتحطيم النظريات، والخروج عن المألوف، وكسر التابوهات الكروية.

الكرة بين أقدام «شيكا وحفني وفتحي» لا تعرف أين تذهب، ولا أين تستقر، ولا متى تغادر أقدامهم ولا كيف، فهم يشكلون سيمفونية كروية ممتعة، ومثلما عرف الفن «ثلاثي أضواء المسرح»، عرفت كرة القدم «ثلاثي أضواء الملعب».

الفصل السابع

80 ٪ من الضحكات التي يصدرها الناس ليست لها علاقة بالسعادة.



جحا القرن

ربما لا تكون سمعت عنه من قبل، وغالبًا لم تقرأ له، فكُتُبه لم تصل إلينا، ومقالاته التي كان يكتبها يوميًا في الصفحة الثامنة بجريدة «الأخبار» لم يتم جمعها في كتاب حتى الآن.

فقد كان أول مَن كتب «التويتة» - نسبةً إلى «تويتر» - فأفكاره مركّزة، وأهدافه واضحة، وعباراته مكثفة، وكلماته قليلة، وجمله قصيرة لكن لسانه كان طويلًا، وطويلًا جدًا!

إنه مؤلف فيلم «الآنسة حنفي» الكاتب الكبير «جليل البنداري».

فقد رحل قبل قرابة نصف قرن بعد أن ملأ الدنيا ضجيجًا، وضحكًا، وأفلامًا، وأوصافًا، وشتائم، لدرجة أن «تحية كاريوكا» أطلقت عليه لقب

«جليل الأدب.. وإحنا بنداري عليه»، وحلفت ذات مرة أن تضربه بالشبشب، وتعقبته في منزل إحدى الفنانات وجلست تنتظر حضوره ودخل جليل، فنطق بشتيمتين، فاستغرقت بعدهما تحية في الضحك!

كانت الشتائم لازمة في لسان «جليل»، أو كانت أشبه بفصلة أو شولة بين عبارات كلامه العادي، وكان يُغضب الناس منه بالشتائم ثم يعتذر إليهم بالشتائم أيضًا - على حد تعبير عمنا أحمد رجب - الذي شهد وشاهد مئات الوقائع مع العم جليل، ومنها حين أقسم فريد شوقي أنه سيرمي «جليل» من البلكونة وسيُطبق ضلوعه، وذلك بعد أن كتب «جليل» أن هدى سلطان تضرب وحش الشاشة بالأطباق، الأمر الذي يهز صورة وحش الشاشة عند جمهور الترسو.

وذهب «أحمد رجب» مع «جلال معوض» ليحاولا تهدئة «فريد شوقي» ولكنه أصر على ضرب «جليل» عند حضوره!

ولم يكن أمامهما إلا أن يسرعا إلى باب العمارة حتى ينصرفا بـ«جليل» عند حضوره بعيدًا عن لكمات وحش الشاشة، ولكن «جليل» أصر على الصعود، ودخل على «فريد شوقي» الذي نظر إليه والشرر يتطاير من عينيه وإذا بـ«جليل» ينطق بكلمة واحدة «فطس» بعدها وحش الشاشة من الضحك!

ورفع الفنانون والفنانات 80 قضية ضده انتهت جميعًا بالصلح بعد أن اعتذر إليهم بشتائمه!

فقد انتهى الفنانون والفنانات إلى حقيقة مؤكدة، وهي أن «جليل البنداري» هو صاحب أطول لسان وأطيب قلب!

ولعل أبرز دليل على طيبة قلبه هو أنه تعلم العزف على البيانو من أجل أغنية «ماما زمانها جاية»، وظل يعزفها كل يوم حتى حجزت الضرائب على كل ما يملكه، وصاردت البيانو، لكن المدهش أن «جليل» كان يهوى أيضًا جلسات تحضير الأرواح!

«جليل البنداري» كان كاتبًا وصحفيًا وناقدًا وسيناريستًا، وله عدد كبير من الأفلام التي ما زلنا نشاهدها حتى الآن، ونضحك معها وعليها، ومنها «العتبة الخضراء»، و«الآنسة حنفي»، و«بمبة كشر»، و«موعد مع إبليس»، و«شفيقة القبطية»، وهو أول من أطلق على «عبد الحليم حافظ» لقب «العندليب الأسمر»، وهو أيضًا من أطلق على أغنية «انت عمري» التي غنّتها سيدة الغناء أم كلثوم ولحّنها موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب «لقاء السحاب».

فكلماته ما زالت حية بيننا نذكرها ونتذكرها ونرددها لكن دون أن نبحث أو نعرف صاحبها، ورغم قسوة التجاهل وعدم الاعتراف بأصحاب الفضل

والسبق، فإن هذه هي قيمة المبدع الذي تتجاوز أفكاره ورؤيته حدود الزمان والمكان وتظل عالقة بالأذهان أبد الدهر.

فالمبدع يظل حيًّا ما دمنا نردد أفكاره وكلامه، فهذا يكفيه، فهو يدرك أن وجود أفكاره أهم كثيرًا من وجود اسمه، لكن وجود اسمه مهم لنا ولأجيال لا نريد لها أن تفقد الذاكرة، والذكرى، والبسمة.



المسحراتي

أظن - وليس كل الظن إثم - أنه لو لم يأتِ «فؤاد حداد» إلينا لغابت شمس شعر العامية عنا.

فهو الشاعر الفذّ الذي خرج من عباءته عشرات الشعراء العظام، ولم يُجمع الشعراء على محبة أحد مثلما أجمعوا على محبته؛ لأنه الإمام الكبير، كما وصفه الأبنودي.

قرأت عنه قبل أن أقرأ له، وقرأت شعره قبل أن أسمع صوته أو أرى صورته.

وحين سمعته ورأيته، علمت أن هذا الرجل كان يحمل الإنسانية في أبهى صورها، والموهبة في أجمل تجلياتها، والصدق في أسمى معانيه، والإخلاص في

أنقى صوره، والتواضع حين يهبط على كوكب الأرض فيستأثر به إنسان واحد لذاته.

لذلك لم أُصدّق حين رأيت حواراته القديمة على شاشة التليفزيون، أن الشاعر الذي ملأ الدنيا ضجيجًا وصخبًا بشعره ومواقفه النبيلة ودفاعه عن الحق والعدل والجمال والخيال والإبداع والإمتاع، هو ذاته الذي يجلس في تواضع جم، ويُنصت في سكينة مفرطة، ولا يتحدث إلى بكلمات قليلة لكنها معبرة.

وُلد «فؤاد سليم حداد» في حي الظاهر بالقاهرة، وتعلم في مدرسة «الفرير» التي كان من تقاليدها العتيدة منع من يتكلمون بالعربية من الالتحاق بها، لكن «فؤاد» كان يرفض الحديث بالفرنسية رغم نبوغه فيها، ويعشق اللغة العربية، ولديه رغبة قوية في المعرفة والاطلاع على التراث الشعري الذي وجده في مكتبة والده، وكذلك على الأدب الفرنسي، ربما هذا ما ميّز «حداد» عن غيره من الشعراء، أنه يكتب بالعامية المصرية، ومتعمق في دراسة الفرنسية.

دفع «حداد» ثمنًا باهظًا لأفكاره، فرغم حبه لجمال عبد الناصر وإيمانه بتجربته فإنه حل ضيفًا على المعتقل في عصره أكثر من مرة، بل إنه حين خرج

من السجن كان أول ديوان نشره هو «أفرِجوا عن المسجونين السياسيين.. أحرار وراء القضبان»، فعاد للسجن مرة أخرى.

لكنه لم يتخلَّ عن مبادئه، بل قبض عليها كالقابض على الجمر، ولم ينشغل بالشهرة والأضواء، بل أخلص لمشروعه الشعري والفكري فقط، لدرجة أن عدد الدواوين التي صدرت في حياته أقل من تلك التي صدرت بعد رحيله، ولعله صنع مجدًا كبيرًا لرجل بسيط هو «المسحراتي» حين خلّده في واحد من أبدع أعماله، فالبسطاء كانوا هم القضية التي عاش، وناضل، ومات من أجلها «فؤاد حداد».

لكن اللافت أن كتابة أغاني «المسحراتي» عُرضت في البداية على «صلاح جاهين»، لكنه آثر «حداد» على نفسه، وقال إنه الوحيد القادر على صناعة عمل يُخلِّد المسحراتي، ويخلَّد باسمه، وقد تحققت نبوءة جاهين، فقد أيقظ «حداد» بالمسحراتي مصر كلها.



عمك محمود

لم يكن العم «محمود السعدني» مجرد كاتب فحسب، وإنما كان بمثابة أُمة من الكُتاب، والمثقفين، والمفكرين، والمبدعين، والساخرين.

ففي عام 1946 بدأ «السعدني» حياته الصحفية في جريدة كان مقرها إسطبلًا لحمير أحد المماليك البحرية!

لكن حياته تغيرت حين ذهب إلى «مأمون الشناوي» في مجلة «كلمة ونص» واستقبله مأمون بعدم مبالاة ولم يرحّب به، وسأله: «عاوز تكتب؟»، ولما أجاب بالإيجاب، تساءل في تهكم: وبتعرف تكتب؟ فأجابه: نعم، فأشار إلى مكتب أمامه وقال: اقعد كده ورّيني.. ورغم ارتباكه الشديد وخوفه من الفشل في أول امتحان حقيقى يواجهه فقد كتب عدة أوراق بسرعة، وعندما ألقى عليها

نظرة قال وهو يتفحصه: انت اسمك إيه؟، فهتف على الفور: محمود السعدني، فسأله وهو يشعل سيجارة: انت عارف السعدني يعنى إيه؟ ولما أجابه بالنفي، قال: السعدان يعني القرد، والسعدني يعني القرادتي!

وفكّر السعدني أن يلعن جدوده وينصرف، لكنه تسمّر في مكانه كالتمثال لا يتكلم ولا يتحرك حتى قال له مأمون: «ابقى فوت علينا تاني»!

وفي العدد التالي من المجلة وجد السعدني ما كتبه منشورًا، فعاد للشناوي، وأصبح محررًا براتب ستة جنيهات، وصارت بينهما صداقة طويلة وممتدة.

وفي عام 48 قرر «الولد الشقي» التطوع في الجيش والذهاب إلى حرب فلسطين بصحبة صديقه الفنان «طوغان»، لكن بعد الكشف عليهما رُفض «السعدني»؛ لأنه كان دقيق الحجم، فقال «طوغان» للقائد: «أنا ماينفعش أروح أحرر فلسطين لوحدي من غير السعدني»!

وعادا معًا، واستمرت صداقة العمر، وحين سمعا بيان ثورة يوليو طارا فرحًا، وخلع «السعدني» حذاءه ليُقبّله، وأصبح مندوبًا لمجلته في القيادة العامة؛ لأن المسؤولين عنها لم تكن لديهم قناعة بالثورة، لذا قررت المجلة أن تُرسل أقل المحررين شأنًا!

وحين وقع العدوان الثلاثي كان «الولد الشقي» في سوريا، ولكن انقطعت

الصلة بين مصر وسوريا، فأسّس مجلة هناك لمناصرة مصر، وفي هذا الوقت نشأت بينه وبين السياسيين في سوريا علاقة قوية ومنهم «خالد بقداش»، وكان زعيم الحزب الشيوعي، فأعطى «خالد» خطابًا للسعدني ليسلمه لعبد الناصر، لكن صديقه «طوغان» نصحه بتمزيقه، ولكن «الولد الشقي» أصر وذهب إلى الرئاسة وسلّم الخطاب، فتم اعتقاله، ويومها سألوه عن التنظيم الذي ينتمي إليه فقال لهم: «زمش»، فتعجب الضباط لأنه لا يوجد تنظيم بهذا الاسم، فقال لهم: «لأني لا شيوعي، ولا إخوان، ولا أي حاجة».

ورحل عبد الناصر، وجاء السادات، وتجددت الاتهامات للسعدني، وتم استجوابه من النائب العام على أنه شارك في مؤامرة لقلب نظام الحكم، لكن بعد التحقيق الذي استمر يومين تم الإفراج عنه، لكن في ذات التوقيت صدر قرار من الرئيس السادات بفصله من «روزاليوسف»، ومنع نشر اسمه في الصحف بسبب عدة نكات رواها لأحد أصدقائه عن الرئيس!

وتم تعيينه في «المقاولون العرب»، لكنه رفض قائلًا: «لقد كنت صحفيًا، وسأبقى صحفيًا، وسأموت صحفيًا، وسأُبعث يوم القيامة في كشف نقابة الصحفيين»، وسافر وعاش سنوات من النفي الاختياري انتقل خلالها من

بلد إلى بلد «بلاد تشيل وبلاد تحط» حتى عاد إلى مصر بعد رحيل الرئيس السادات.

«السعدني» تخصص في نقد السلطة والسخرية من أفعالها والضحك على منافقيها وآفاقيها، فصارت كتبه متحفًا أنيقًا يضم قطعًا أدبية تُشرّح الحُكم ومن فيه، فقد قال: «ليس للمواطن في بلاد الحمير إلا أن يمشي وراء الرئيس، فهناك متناقضات كثيرة في العصر الحميري، منها أن لدينا ديموقراطية واسعة وبلا حدود في كل شيء إلا في السياسة»!

أشعر أن لقب «عمنا» خُلق من أجل «محمود السعدني»، وأشعر أنه الأحق دائمًا بهذا اللقب رغم كثرة الأعمام، فهو عمك قولًا وفعلًا، رضيتَ أم لم ترضَ، أحببته أو اختلفت معه.

فمصر في نظر المحترفين سلسلة طويلة من الأمراء والملوك والسلاطين، ولكنها في نظر السعدني «مجموعة متصلة من الأجيال والصيّع وأصحاب الحاجات والمتشردين».



الصارخ

هو صورة لجيل بأكمله نبغ في كل شيء، ولم يسعَ لشيء، فهو صحفي، وساخر، وروائي، وكاتب مسرحي، وله ثلاثة عشر كتابًا لن تجد أغلبها في المكتبات رغم أهميتها وقيمتها الأدبية والفكرية وروعة أسلوبها لكن أجمل ما في كتبه أنك حين تقرأها لا تتصور أن من كتبها رحل منذ ما يزيد على ثلاثين عامًا فيقول: أحيانًا أميل إلى قراءة كتب الخرافات.. بالأمس عكفت على قراءة «ميثاق حقوق الإنسان».

إنه الكاتب الكبير «محمد عفيفي» الذي وُلد في يوم السبت 25 من فبراير عام 1922 في قرية «الزوامل» بمحافظة الشرقية، نشأ في أجواء القرية المصرية، وتدرج في صفوف التعليم حتى حصل على ليسانس فلسفة عام 1943، ثم حصل على دبلوم الصحافة عام 1945.

وبعد خمس سنوات وتحديدًا في مطلع عام 1950 عثر على شريكة حياته السيدة «اعتدال الصافي»، وأنجب منها ثلاثة أبناء «عادل ونبيل وعلاء» طبيب ومهندس ومحامٍ، لكنه يقول عن الزواج: «سيظل الناس يتزوجون إلى الأبد ما دام هناك من يظن أنه أفضل حظًّا من الآخرين».

وبعد شهور قليلة من زواجه -الذي اختار له نفس تاريخ ميلاده- عمل محررًا في «أخبار اليوم»، وكان مسؤولًا عن باب بعنوان «هذا وذاك»، وظل كذلك حتى 31 مارس 1964، بعدها انتقل إلى مجلة «آخر ساعة» وحرر فيها بابًا بعنوان «ابتسم من فضلك» عام 1954، ثم غادر «أخبار اليوم» بعد قرار تأميم الصحافة، ورحل إلى «دار الهلال» مع صديقه أحمد بهاء الدين وظل يكتب في مجلة «المصور» لعشر سنوات، وبعدها عاد إلى «الأخبار».

لم تشغل «عفيفي» الحياة بقدر ما شغلها هو بفنه وإبداعه وقدرته على التكثيف والتبسيط والتوصيف والتشخيص لكل ما فيها ومن فيها، فلم يكتب من أجل أن يحصد المجد أو الشهرة والمال، ولو أراد لحقق كل شيء، لكنه لم تشغله الأضواء ولم ينشغل بها فهو واحد من هؤلاء المتواضعين العظام الذين لا يشعرون أن ما يفعلونه يستحق الثناء والاحتفاء والتمجيد والتهليل، هو يظن أنه يفعل ما عليه فقط يكتب ما يعتقده ويجعلك تضحك على طريقته،



لذا يوضح الفرق بين المهرِّج والساخر قائلًا: «المهرِّج يجعلك تضحك عليه، والساخر يجعلك تضحك عليكما».

هذه هي مدرسته في السخرية فهو بلا عُقد، ولا يريد التصنع أو ادّعاء العلم، رغم كونه عليمًا، ولم يدّعِ بطولة رغم أنه بطل حقيقي، كان يفعل كل شيء ببساطة، وتلقائية، وخفة ظل، لكنها بساطة عميقة، وتلقائية منتقاة، فلا يخاطب القارئ من أعلى برج عاجي، لكنه يخاطبه من الكرسي المجاور له على المقهى فيقول له: «الفرق بين اللص الصغير واللص الكبير، أن الأول يتسلق الماسورة، أما الثاني فيتسلق الموجة».

ظل «محمد عفيفي» بعيدًا عن السياسة وتقلباتها، وظلت كتاباته مرتبطة بنبض البسطاء، الذين كان يكتب من أجلهم، ويرصد معاناتهم، ويعبر عنهم في كلمات قليلة لكنها كافية، لكنه لم ينافق القارئ بل كان عينه وقلمه، لذلك حين تفشّت ظاهرة «الإفتاء السياسي» قال: «بعض المصريين يفهمون في الطب، وبعضهم يفهمون في الهندسة، وبعضهم في الأدب والفلسفة، وبعضهم لا يفهم في أي شيء، ولكنهم جميعًا يفهمون في السياسة»!

لم يغيّر سيارته الفورد النبيتى موديل 1951 الكالحة لمدة ثلاثين عامًا، كان يترك بابها مفتوحًا.



وحين وضع «عفيفي» تعريفًا للمواطن المصري قال: «إنه المواطن الوحيد في العالم الذي يمكنه أن يموت في حادث تصادم بين مرسيدس وكارو»!

أعمال «عفيفي» تنوّعت، بدأها بمجموعة قصصية سماها «أنوار» ثم تبعها بمسرحية «التفاحة والجمجمة» وبعدها كتب روايته الأولى «بنت اسمها مرمر» ثم اتجه إلى أدب الرحلات بـ«تائه في لندن» و«سكة سفر» وبينهما أرّخ لجلسات الحرافيش بروايته «شلة الحرافيش»، لكن يبقى أشهر أعماله هي كتبه الساخرة ومنها: «ابتسم من فضلك» و«ضحكات صارخة» و«للكبار فقط».

«عفيفي» حالة متفردة يجب أن تبحث عنها وتسعى لها لتقطف ثمرتها، لتشعر بنشوة القراءة له، وتدرك مقصده حين يقول: «في حديقة الحيوان أشعر بأمان أكبر بكثير من ذلك الذي أشعر به في الشارع، فحيوانات الحديقة -كما تعلم- محبوسة»!





العقربي

لا يجب أن يذكر تاريخ ميلاده، فهو شاب حتى لو بلغ عمره ألف عام!

لا تضع له قانونًا، فهو رجل له قانونه الخاص، وليس أمامك إلا أن تعترف بعبقريته؛ لأنه ليس كسائر الرجال، تجده وقورًا، ووفيًا، وصادقًا، ويبعث على السرور، لكنه يميل إلى العزلة، ويفضل أن يراقب الأحداث عن بُعد.

إنها صفات مواليد برج العقرب التي تنطبق على الكاتب الكبير أحمد رجب الذي لم أجد سوى ورقة وحيدة في أرشيف «دار أخبار اليوم» تحمل بياناته الشخصية، رغم أنه عاش أكثر من نصف قرن داخل هذه المؤسسة!

ورقة واحدة فقط قام بتوقيعها بخط يده في عام 1959 عندما كان مديرًا لتحرير مجلة «الجيل»، وكتب فيها اسمه الثلاثي المسجل في شهادة الميلاد «أحمد إبراهيم رجب» من مواليد منطقة الرمل بمحافظة الإسكندرية.

وتعلم في مدرسة «رياض باشا الابتدائية»، وكان يحب حصة الموسيقى ويكره علم الحساب وبسببه قضى طفولة سعيدة جدًّا كلها ضرب في ضرب -على حد تعبيره- وعندما كان المدرس الخصوصي يعلن أنه توصل إلى حل مسألة جبر، كانت أمه تطلق الزغاريد وتوزع الشربات على الجيران!

«أحمد رجب» سخر من كل شيء حتى نفسه، فالشخصيات التي ابتكرها ورسمها «مصطفى حسين» ما زالت تعيش بيننا، ونعرفها جيدًا، ونحفظ طريقتها عن ظهر قلب، ونتعامل معها بشكل يومي، فعندما تذهب إلى مصلحة حكومية لا بد أن تقابل «عبد الروتين»، وحين تفتح التليفزيون تجد «كمبورة» و«مطرب الأخبار»، وعندما تذهب إلى الاستاد ترى «كابتن أوزو»، وعندما تنزل إلى الشارع تصطدم بـ«الكُحَيت» و«قاسم السماوي» و«عزيز بك الأليت» و«على الكومندة» و«عبده العايق» و«جنجح»، وإذا ذهبت إلى قريتك وجدت «فلاح كفر الهنادوة» في انتظارك.

بدأ أحمد رجب صحفيًّا قبل عام واحد فقط من ثورة يوليو، في البداية كان يحرر بابًا ثابتًا بعنوان «هذه الجريمة لغز.. فتعالوا نحله معًا»، وكان عبارة عن عرض وتحليل لإحدى الجرائم التي حدثت خلال الأسبوع ولم يُستدلّ على مرتكبها، وظل يحرر هذا الباب لثلاث سنوات، انتقل بعدها لكتابة باب آخر

بعنوان «أخبار الأسبوع» وكان عبارة عن رصد وتعليق على الأحداث التي وقعت خلال الأسبوع، لكن بعد فترة من كتابته المنتظمة في هذا الباب قام بتغيير طريقة تقديمه، وأصبح يكتب فيه عن المشاهير، فكتب في هذا الباب عن عدد كبير من نجوم الفن والفكر.

كان «رجب» مدهشًا في الخبطات الصحفية، فقد وضع خطة لأكبر خبطة صحفية عرفتها مصر عندما نشر مسرحية أطلق عليها «الهواء الأسود» وقال إنها مسرحية لم تُنشر من قبل للكاتب المسرحي السويسري الشهير «فردريك دورنيمات» ودعا كبار النقاد للتعليق عليها باعتبارها إحدى روائع مسرح «اللا معقول»!

بعد أن كشف أحمد رجب عن فضيحة الموسم الثقافية، التي أنهت أسطورة نقاد «اللا معقول»، وحيّاه على هذا الانفراد «العقاد» و«طه حسين» و«توفيق الحكيم».

في هذا التوقيت دخل الأستاذ أحمد رجب غرفة العظماء، وبدأ رحلته مع «نص كلمة» التي خرجت إلى النور كعمود يومي في الصفحة الثامنة بجريدة «الأخبار» في عام 1968، لكن رغم ما صنعه من مجد كبير فإنه لم يكن أبدًا رئيسًا لتحرير أي جريدة، فحين طلب مصطفى أمين من الرئيس السادات أن

يتولى أحمد رجب رئاسة تحرير مجلة «آخر ساعة»، رفض، وقال له: «ماينفعش يا مصطفى لأنه مابيسمعش الكلام»!

كتب «رجب» العديد من الأفلام منها «شيء من العذاب» و«شنبو في المصيدة» و«نص ساعة جواز» و«محاكمة علي بابا» و«فوزية البرجوازية» و«الوزير جاي»، لكن رغم ذلك كان لا يهوى الظهور، ولا تشغله الأضواء، ولا تجذبه الكاميرات، بل يهوى الجلوس في المناطق التي تخفت فيها الإضاءة، ويشعر أن هناك فارقًا بين الكاتب والمفكر المشغول بقضايا الناس ورجل العلاقات العامة المشغول بالدعاية لنفسه أمام الناس، لكن في الوقت نفسه، لا تندهش عندما تعرف أن هذا الكاتب الكبير رفض مقابلة العديد من الوزراء، لكنه قابل نشالًا في مكتبه!



دايماً عامر

المعجزة: أمر خارق للعادة.

وهذا بالضبط ما فعله العم جلال عامر!

الرجل الذي بدأ حياته بعد الخمسين، وفي خمس سنوات صنع مجدًا يعيش دهرًا، وابتكر أسلوبًا جديدًا في الكتابة الساخرة، فبدا كأنه حاوٍ، يُظهر كلمات ويخفي أخرى، يجعل عينك تقع على الجملة التي يريد أن تقرأها، كلمة تخاطبك وأخرى تخاطب من يجلس بجوارك، وثالثة تخاطب زوجتك، ورابعة تخاطب من يجلس فوق كرسي السلطة!

هكذا كان يكتب، فكل كلمة طلقة تعرف هدفها، ولا تخطئه أبدًا، وتذهب في الاتجاه الذي حدده لها بالضبط، ربما لأنه تربّى على حمل السلاح، والتصويب

الدقيق لمدة جاوزت العشرين عامًا، فصارت لديه القدرة على أن يصوِّب وهو مغمض العينين، وتلمح ذلك في قوله: «كنا نزرع سيناء بالمقاومة والآن نزرعها بالحشيش»!

عبقرية العم جلال أنك لا تستطيع التنبؤ بما سيصل إليه في نهاية المقال، فهي مجرد «تخاريف» إن أردت أن تحاسبه عليها، وهذه ميزة مَن درس القانون، وعرف خباياه واستخدمها فقط لحماية نفسه وفنه وأدبه، وليس لتكدير حياة الآخرين، لذلك عندما تسيطر الكآبة والمكتئبون تزداد الحاجة إلى العم جلال، وعندما تزداد مساحة الضباب ترجع إلى ما قاله حين سأل أحد ركاب الأوتوبيس الجالس بجواره: «إحنا رايحين على فتنة طائفية أم على ثورة جياع؟» فرد الرجل: «ما أعرفش والله، اسأل الكمسري»!

لا أظن أن الأجيال القادمة يمكن أن تُصدق حقيقة هذا الرجل الذي صنع شهرته ونجوميته وتألقه وتفرده في خمس سنوات فقط.

فقد ظل يعمل ضابطًا بالجيش حتى سن التقاعد، ودرس خلال هذه السنوات القانون في كلية الحقوق، و«الفلسفة» في كلية الآداب، ثم اتجه إلى الكتابة في مجالي القصة القصيرة والشعر في جريدة «القاهرة»، وبعدها عمل في صحفيتي «التجمع» و«الأهالي» لكن ظهرت قدراته الحقيقية في عام 2007

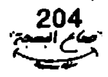
عندما بدأ الكتابة اليومية في جريدة «البديل»، فانتقل إلى «الدستور» وتألق بصفحة أسبوعية، ثم لمع في «المصري اليوم» وتصدر المشهد حتى رحل في 2012.

المدهش أن طريقه وطريقته لم تتغير، فالكتابة في صحف يقرؤها خمسون قارئًا، ولا تعطي له راتبًا -إلا قليلًا- لا تختلف عن الكتابة في صحيفة يقرؤها مئات الآلاف من القراء.

فالإبداع عند عمنا جلال عامر لا يتوقف على ارتفاع سعر الدولار أو على عدد القراء، فقد كان يبدع لأنه يُمتع نفسه أولًا قبل أن يستمتع قارئه بما يكتبه، ربما لذلك يقول: «مَن يتابع الصحف هذه الأيام فسوف يتأكد أننا انتقلنا من مرحلة القراءة للجميع إلى مرحلة الكتابة للجميع»!

لكن أظن أن أهم ما فعله جلال عامر هو أنه أعطى أملًا لأجيال لم تأتِ بعد.. أن الحياة يمكن أن تعطيك ما تستحقه يومًا حتى لو كنت قد قاربت الستين من عمرك، فقد امتلك موهبة يمكن أن تحجب الشمس عن أجيال سابقة ولاحقة، لكنه لم يتعجل الفرصة، وحين أتت انفجر بركان مواهبه، ولم يعد ممكنًا أن يقف أمامه أحد، وخرجت طاقاته الإبداعية دفعة واحدة.

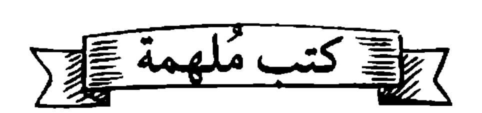
هذا رجل إن لم يكن من أولياء الكتابة الصالحين ربما صار من الأولياء



أصحاب الكرامات والمقامات والدراويش، فلا أظن أنه كان يبحث عن كلام يكتبه، فالكلام هو الذي يبحث عنه، وأعتقد أنه كان لا يلهث خلف الأفكار، فالأفكار كانت تذهب إليه طائعة، خاضعة، راضية، وسعيدة.

هذا رجل عاش صابرًا ومثابرًا وصبورًا لم يتعجل الشهرة، ولم يلهث خلف الأضواء، ولم يحاور أو يناور أو يراوغ أو يتاجر أو يبالي بما سيحدث له بسبب ما يكتبه، لكنه كان يرى بقلبه قبل قلمه، فيقول: «كل شعوب العالم لا تعرف ماذا يحدث في المستقبل إلا الشعب المصري لا يعرف ماذا يحدث الآن»!





- «المضحكون»، محمود السعدني.
- «الضحك والفكاهة»، الدكتور شاكر عبد الحميد.
- «سيرة الحبايب»، سناء البيسي.
- «أي كلام»، أحمد رجب.
- «للكبار فقط»، محمد عفيفي.
- «قُصر الكلام»، جلال عامر.
- «أخبار المصريين في القرن العشرين»، سعيد هارون عاشور.
- «شخصيات وتجارب»، رجاء النقاش.
- «مقالات ساخرة»، صلاح جاهين.

- «الكبار يضحكون أيضًا»، أنيس منصور.
- «صنايعية مصر»، عمر طاهر.
- «محمد فوزي المجد والدموع»، مصطفى بيومي.
- «كرة القدم بين الشمس والظل»، إدواردو غاليانو.
- «مذكرات شارلي شابلن»، صلاح حافظ.
- «الظرفاء»، محمود السعدني.
- برامج «اتنين على الهواء»، برنامج طارق حبيب.
- «الموهوبون في الأرض»، برنامج بلال فضل.
- صحف «مجلة الكواكب»، صلاح بيطار.
- «جريدة الوطن»، حوار مع شقيق علاء ولي الدين.
- «جريدة المقال»، بدأت فكرة كتاب «صناع البهجة» على صفحات الجريدة.





أحب جبروت أم كلثوم، ووسوسة عبد الوهاب، ومكر عبد الحليم، وصوت فيروز، وموسيقى محمد فوزي، وعذوبة نجاة، ورقة فاتن حمامة، ووسامة عمر الشريف، وغموض ليلى فوزي، وجاذبية رشدي أباظة، ونظرة عين المليجي، ودلال شادية، وفوازير نيللي وشريهان، وسيرة إسماعيل ياسين، وسعاد حسني كلها على بعضها!

وأحب سجية زينات صدقي، وسذاجة محمد رضا، وثقة عادل أدهم، وتناكة عبد السلام النابلسي، وجدعنة تحية كاريوكا، وسينما عاطف الطيب، و«لوكيشن» محمد خان، وشويكار المهندس، وضحكة هند رستم، وفصاحة عبد الفتاح القصري!

وأحب ذكاء عادل إمام، وتجسيد أحمد زكي، وجمال ميرفت أمين، ونضج الفخراني، ومسرح محمد صبحي، وطيبة سعيد صالح، وهلس سمير غانم، وخفة دم الضيف أحمد، وتجارب أحمد حلمي، وسياسة نجاح الموجي، وذكريات إسعاد يونس، وإخلاص أشرف عبد الباقي، وصراحة محمود السعدني، وسلاسة محمد عفيفي، وسخرية جلال عامر، وتكثيف أحمد رجب، ولسان جليل البنداري!

وأحب إنسانية فؤاد حداد، ومواهب صلاح جاهين، وشاعرية نزار قباني، ورحلات محمد المخزنجي، وخطوط بهجوري، ورسومات حجازي، وكاريكاتير عمرو سليم، وإعلام طارق حبيب، وعالمية باسم يوسف، وشموخ صالح سليم، ودعوات حسن شحاتة، ودهاء أبو تريكة، وتواضع حازم إمام، ونجومية الخطيب، وتدريب الجوهري، وهدف مجدي عبد الغني في كأس العالم!

وأخيرًا عزيزي القارئ، أتمنى أن تجد مَن تحب فيمن أحب.





تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصواف